الاديب فى عقدها الثانى

اتمت «الاديب» عشر سنوات من عمرها، وبدأت بهذا العدد سنتها الحادية عشرة، ونحن نغتنم هذه المناسبة لنعبر هنا عن شكرنا العميق لاخواننا في جميع اقطار العالم الذين بذلوا من وقتهم وجهدهم وما لهم الشيء الكثير في سبيل الحفاظ على مجلتهم ونشر رسالتها ومؤازرتها في جهادها ومساعدتها على تذليل العقبات والعراقيل التي اقيمت في طريقها في هذا البلد صاحب اسطورة «الاشعاع الفكري ...» القائم على سياسة افقار رجال الفكر ...

و«الاديب» وان لم تتمكن من تحقيق هدفها كاملا فهي قد استطاعت ان تجمع على صفحاتها احرار الفكر من مختلف الاقطار وكانت خير رسول للتعارف والتقارب بين العرب، كما وانها رحبت بالناشئة المتحررة فساعدت على اظهار عقول متفتحة ومواهب كامنة واقلام فتية استطاعت ان تشق طريقها وتتبوأ المكانة اللائقة بها. واصبحت «الاديب» بذلك لسان حال الجيل العربي الجديد، ومرجعاً للمستشرقين واساتذة الجامعات العالمية في دراسة الادب العربي الحديث ونشاته وتطوره.

ورأينا لاول مرة في تاريخنا الادبي كيف تترجم روائع الادب العربي الى عدة لغات منها الفرنسية والانجليزية والاسبانية والهولاندية واليونانية، وكيف تذاع الاحاديث عن كتاب الاديب وتلقى مختارات لهم بمختلف هذه اللغات ايضاً في محطات الاذاعات العالمية.

وكانت «الاديب» ترجو خلال هذه العشر السنوات ان تحقق اكثر مما استطاعت تحقيقه لو كانت تصدر في بلد يرعى الفكر او على الاقل، لا يضطهده، اما وقد قدر لها الجهاد في سبيل الخير، فقد ادت بجهد الفرد، اكثر مما تستطيع مؤسسة ان تؤديه.

و«الاديب» بعد، وهي في مطلع عقدها الثاني، تتطلع الى المستقبل مطمئنة، طالما ان هنالك قلوباً نبيلة ترعاها، واخواناً يؤازرونها، واحراراً يساندونها، وهي ترجو ان تستطيع في عقدها الثاني تحقيق ما عجزت عن تحقيقه في عقدها الاول، الذي كان بالنسبة لها، من الناحية المادية، مرحلة قاسية ومأساة دامية.

«الأديب»

الأديب تختم عامها العاشر

طوت مجلتنا الادبية الاولى «الاديب» عامها العاشر على جهاد مستمر، وصبر مرير، وتقدم مطرد. في سبيل رسالة ادبية رفيعة نذرت لها نفسها، فجمعت الادباء حول اهداف سامية، ورفعت من مستوى الحياة الفكرية، في بلد كثر فيه الحديث عن الفكر والاشعاع والنبوغ، وانعدم فيه العمل من اجل الفكر والاشعاع والنبوغ ...

ولكن «الاديب» التي لقيت من عنت الحاكمين واهمالهم، قدمت للبنان، ارادت او لم ترد، خير الخدمات في الصعيد الثقافي، فقد احتلت اسمى المراكز في رفوف مكتبات الجامعات في اوروبا واميركا، وتبوات في قلوب المستشرقين مكاناً لم تبلغه مجلة عربية قبل الآن فاقبلوا عليها يتخذونها مرجعاً من المراجع الهامة لتاريخ الادب المعاصر، كما اقبلوا على مقالاتها يترجمونها الى لغاتهم كامثلة عن ارفع ما انتجه ادباء العالم العربي في العصر الحاضر. واننا، اذ نهنيء «الاديب» بدخولها العقد الثاني من عمرها المديد، نرجو لها حياة حافلة بالكفاح والنجاح على ايدي كتابها ومحرريها وفي مقدمتهم صديقنا الاستاذ البير أديب.

«كل شيء» اللبنانية

مجلة الاديب في عامها الحادي عشر

بعد ايام معدودات يلفظ العام الحالي انفاسه الاخيرة حاملا معه عشر سنوات، نهضت فيها الاديب بعبء الرسالة التي من اجلها بعثت الى الحياة، ومن اجلها ستستمر في الحياة غير حافلة بما اعترضها من الصعاب، وما اكثرها ولا مبالية بما لقيته من العقبات.

اتمت الزميلة الكبرى مجلة «الاديب» اللبنانية سنتها العاشرة وقد ادت خلال هذه السنوات العشرة للادب والفكر في البلاد العربية خدمات لا تنسى وبات لبنان بوجود «الاديب» مركز اشعاع فكري للبلاد العربية قاطبة. ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان نشيد بالمجهود الجبار الذي يبذله صاحبها الاستاذ البير أديب. وفقه الله لخدمة الادب والهم المسؤولين في لبنان حسن تقدير مجهوده الادبي

مجلة «الدنيا» السورية

ولدت الاديب في جو تعبق فيه رائحة البارود والنار والدم فكانت الرسالة الانسانية النبيلة التي انبعثت من وسط هذا العالم المكتوي بنيران الانانية والحقد. ولدت في ذلك اليوم وكانها تثبت للملأ ان رسالة الفكر التي ديست ليقوم على انقاضها اتون من الدمار والخراب، وسفك الدماء لا يمكن القضاء عليها بهذه السهولة، بل

- البقية في صفحة ٤ -

الى العام الجديد

للآنسة نازك الملائكة

•

بغداد

☆

يا عام لا تقرب مساكننا فنحن هنا طيوف
من عالم الاشباح ينكرنا البشر
ويفرّ منا الليل والماضي ويجهلنا القدر
ونعيش اشباحاً تطوف
نحن الذين نسير ، لا ذكرى لنا
لا حلم ، لا أشواق تشرق ، لا منى
آفاق أعيننا رماد
تلك البحيرات الرواكد في الوجوه الصامته
ولنا الجباه الساكته
لا نبض فيها لا اتّقاد
نحن العراة من الشعور ، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان الى العدم
ألجاهلون أسى الندم
نحن الذين نعيش في ترف القصور
ونظل ينقصنا الشعور
لا ذكريات
نحيا ولا تدري الحياة
نحيا ولا نشكو ونجهل ما البكاء
ما الموت ؟ ما الميلاد ؟ ما معنى السماء ؟

***

يا عام سر ، هوذا الطريق
يلوي خطاك ، سدى نؤمّل ان تفيق
نحن الذين لهم عروق من قصب
بيضاء او خضراء ، نحن بلا شعور .
الحزن نجهله ، ونجهل ما الغضب ؟
ما قولهم « ان الضمائر قد تثور » ؟
ونود لو متنا فترفضنا القبور .
ونود لو عرف الزمان
يوماً إلينا دربه ، كالآخرين .
لو اننا كنا نؤرّخ بالسنين ،
أو أننا كنا نقيّد بالمكان .
لو ان ابواب القصور الشاهقات
كانت تجيء قلوبنا بسوى الهواء
لو اننا كنا نسير مع الحياة
نمشي ، نحس ، نرى ، تنام ...
وينالنا ثلج الشتاء
ويلف جبهتنا الظلام
اواه لو كنا نحسّ كما يحس الاخرون ،
وتنالنا الاسقام احياناً وينهشنا الألم .
لو ان ذكرى .. او رجاء .. او ندم ..
يوماً تسد على بلادتنا السبيل .
لو أننا نخشى الجنون
ويثير وحشتنا السكون
لو ان راحتنا يعكرها رحيل
او صدمة ، او حزن حب مستحيل
اواه لو كنا نموت كما يموت الآخرون .

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمد الحوت
استاذ في العلوم

في طريق الميثولوجيا عند العرب ، رسالة كنت تقدمت بها الى دائرة الدروس العربية في جامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة « استاذ في العلوم » وبعد الانتهاء من هذه المهمة العلمية ، بقيت هـذه الرسالة مدة طويلة في منعزل عن عالم النشر ، وانا انتظر ان يتنـاول هذا الموضوع اكثر من قلم فيتعبد السبيل لمن يرغب في ارتياد تلك المجاهل في الادب العربي القديم .

واليوم،وبعد عشر سنوات او اكثر من الفراغ من وضعها، نحاول عرضها على قراء « الاديب » لاول مرة فصولا متتابعة .

المقدمة

كنت ولا ازال ، اعتقد ان في الخزانـة العربية حيزاً معداً للميثولوجيا لم يشغل بعد ، ولا اعلم سبباً لهذا النقص في الادب العربي الحديث ؟ ولعله اعتقـاد عام ، يكاد يكون راسخاً ، باننا لم يكن عندنا ميثولوجيا خاصة،كأن العرب ليسوا كغيرهم من الامم القديمة التي لعبت الآلهة والشياطين دوراً هاماً في حضاراتهم الاولى ، ولقد قالوا : حتى نتوصل الى صميم حضارة ما ، يجب ان نكون على علم بآلهتها* .

ولعمري ان لهذا الاعتقاد أثراً فعالا في حد الخلق في ادبنا المعاصر ، وكبح الخيال عن الانطلاق في اجواء رحبة فياضة بالاوهام والتصورات، يغرق فيها المبدع والمتذوق لهذا الابداع فيعيشان هنيهات سكرى ، يمتزج فيها العقل بالعـاطفة ، فتنتعش الروح ، وهل من نتيجة للادب الحي امى من الانتعاش .

ان لمحة في الكتب الصفراء حملت شاعراً من شعرائنـا الافذاذ الى عبقر ، فعاد وفي جعبته ملحمة صغيرة ، لو تروى في اخراجها لجاءت اروع ممـا هي عليه الآن من الادب المستحب الرفيع . وعديدة هي الموحيات في تراثنا الادبي لو وجـدت عبقرية هاضمة خالقة في آن واحد .

والكثير من الذين يرون ان العرب كانوا على شيء مـن البلوغ الى هذه العوالم ، يعتقدون انهم استوردوهـا فيما كانوا يستوردون من الامم المجـاورة . نعم ، ان العرب لم يكونوا منعزلين عن جيرانهم ، بل كانوا ذوي صلات وثيقة بالاطراف.

* ص ٢٨ ، Hackin And Others : Asiatic Mythology, Edinburgh

ستظل ابد الدهر مشعة بنور التسامح والاخاء، والامل ، حاملة مشعلها القوي تضيء به جانباً من اهم جوانب الحضارة الانسانية .

ولدت الاديب مستمدة من روح منشئها ، خطتها المثلى لتشق سبيلها وسط طريق محفوف بالاشواك والمتاعب حتى بلغت السن التي لم تبلغها مجلة ادبية قبلها في لبنان . وباتت ميداناً للفكرة الناضجة والاقلام الحية ، يجول فيه كتاب البلاد العربية وقادة الفكر في الشرق والغرب،حتى لفتت انظار العالم الغربي اليها،فقام مفكروه وعلماؤه يأخذون بناصرها ويعدونها المثل الحي لثقافة هذه البقعة من الارض

ان للاديب قصة مؤلمة، ومن المؤسف ان يكون للاديب قصة مؤلمة في مدينة كبيروت فيها جامعتان كبيرتان وجامعة ثالثة في طريق التكوين ، وعشرات الكليات ، ومئات المدارس الابتدائية ، وفي بلد كلبنان يعتز بان كل رأسماله علم واشعاع .

لقد حوربت الاديب في هذا البلد في امس حقوقها، وحوربت في مادياتها كما حوربت في عقيدتها، ولكنها كانت تخرج دائماً من معركة الحياة هذه عزيزة موفورة الكرامة ، لم تنل منها الصعاب لانها بنيت على اساس متين من العقيدة السليمة والغاية النبيلة .

وها هي اليوم تدخل عامها الحادي عشر ، ماضية في خطتها ، اصدق ما تكون عزيمة ومضاء ، معتزة باصدقائها القراء ، الذين لم يخذلوها وقت الشدة وكانوا لها خير النصير . فالى الامام يا مجلة الاديب ، اعواماً مديدة ، كما عهدناك ثابتة على المبدأ ، حريصة على الغاية التي من اجلها نفخ فيك صاحبها الكريم الحياة .

وانت يا اخي صاحب الاديب هنيئاً لك زاويتك الصغيرة في غرفة دارك التي ، تشع املا واخلاصاً وتضحية ، فلا بد يوماً من ان تنجلي الغمامة ويظهر النهار الواضح لكل ذي عينين ، وعندها فقط يعرف الناس من هو البر أديب .

« الديار » اللبنانية

والتاريخ يشهد ان المصريين القدماء ، والاكاديين قـد اخترقوا بلاد العرب. ومما زاد في احتكاكهم الخارجي نشوء المستعمرات الاجنبية في الجزيرة على توالي الزمن، وازدهار الطريق التجارية التي كانت تنقل مستوردات الهند ، وافريقية الشرقية ، وبـلاد اليمن الى العالم الغربي ، والامبراطورية البيزنطية(١) فلا عجب اذا « كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام . لانه لايحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر ، والشام ، والعراق ، وفارس كما كانوا متصلين ، ولا يدخل العربية كثير من اللغـات المصرية ، واليونانية، والسريانية، والعبرانيه، والفارسية. ولو خفي على جامعي العربية اصل كثير من كلماتها لحسبوها كلها من صميم العربية »(٢)

لقد احتك العرب بغيرهم من الشعوب ، ما في ذلك ريب . ولا شك في اخذهم عنهم الكثير ، حتى عبدت آلهة اشورية في اليمن ، وأثرت حضارة الفينيقيين واليونان في اليمنيين ، كما ظهر انه كان للحضارة الاشورية والنبطية تاثير على الحجازيين .

حسن كل ذلك، على أنه بديهي ايضاً ان يكون للعرب انفسهم تأثير على غيرهم من هذه الشعوب ، فالقضية لا بد وان تكون « كبيع السوق خذ مني وهات » كما يقول جرير ! مما ادى بهمل Hommel الى القول ان من المحتمل الشديد ان يكون اليونان قد استعاروا ، منذ القدم ، عن طريق التجـار العرب الجنوبيين آلهتهم Apollo وامه Leto و Dionysos و Hermes (٣) ونعلم ايضاً ان اليونان قد اخذوا الكثير من شعوب الهلال الخصيب من آلهة ومعتقدات .

فكيف اذا نحمل الميثولوجيا العربية الضيم اذا استعارت من غيرها ، ولدى التحقيق لا نجد ميثولوجيا خاصـة بشعب من الشعوب دون ان تكون قد أخذت الكثير من غيرهـا ؟ ولو اوغلنا في القدم متعمقين في اصل اللغات(٤) لوجدنا ان هـذه الاساطير وما بها من اسماء ميثولوجية انما تنبثق في البدء من اصل واحد ، وتتفرع بانشقـاق الشعوب ، وتختلف باختلاف طرق المعيشة التي أخذ باسبابها كل شعب في نطاقه على حدة . ولهـذا نجد كثيراً من الشبه الاصلي في ميثولوجيا الشعوب المتجاورة والمتباعدة منها .

(١) ص ١٩١ O'Leary : Arabia Before Muhammad, (London 1923)

(٢) ص : د ـ ه يعقوب صروف في مقدمته لكتاب : « فلسفة اللغة العربية وتطورها » لضومط .

(٣) ص : ٣٨٠ ، المجلد الأول Encyclopaedia of Islam

(٤) ص : ١٢٩ المجلد التاسع عشر Encyclopaedia Britannica

فالقضية اخذ وعطاء ، كما قلنا، لا بد ان المغرقين في الشبهات يرون حتى الاديان السماوية ، في زعمهم ، سلسلة اعتمادات فاذا ما تداولوا قصص القرآن التي تدور حول اشخاص توراتية وجدوا لها تتبعاً في التلمود ، وفي احوال اخرى يرون امثـال الاساطير في الزندفستا Zendavesta (٥) او الوثيقة الاصليـة لديانة زروستر Zoroaster(٦) .

ولعل امتناعنا عن البحث في الميثولوجيا العربية ناتج عـن الظن بان الميثولوجيا هي وقف على العلاقات بين الآلهة والابطال من زواج وحروب ، كما كان عند الاغريق حيث تشارك الالهة البشر بالاحساس والمأكل والمشرب ، وحيث كثر تشبيه البشر بالآلهة في الشعر حتى زعموا ان كثيراً من ابطـال اليونان كان لهم علاقة نسب بالآلهة وكذلـك غيرهم من الشعراء كهوميروس الذي اعجب به ارسطو فالصق نسبه بالآلهة(٧)

على انه ، وان كان عند العرب ما يشبه ذلك ، كما سنرى ، فليس هذا كل ما تعطيه الميثولوجيا من معان . فهي علم يبحث في اساطير التكوين والآلهة والابطال ، وهي كلمة تطلق على هذه الاساطير نفسها . فعندما نتكلم عن الميثولوجيـا اليونانية نعني بذلك أساطير البطولة اليونانية ، والمقدسة ، والسماوية ، كما نعني بعلم الميثولوجيا تلك المحاولات التي رمت الى ايضـاح هذه الخرافات(٨) . وتعطي كلمة الميثولوجيـا ، ايضا ، معنى عرض الخرافة او تفسيرها ، وتطلق على القصة الخرافية نفسها او على مجموعة اساطير تتعلق بالمعتقدات الخرافية او الدينية لقطر مـن الاقطار او شعب من الشعوب ، او على تلك الناحية من العلوم التي تعنى بالخرافات والاساطير(٩) . ولهذا قال أحمد امين ان الخرافات كسد مارب والخورنق وغيرها أصبحت موضوعاً لما يسمى علم الميثولوجيا(١٠)

فاذا ما درسنا الميثولوجيا العربية فيما سنثبته من فصول ، لا نكون ابعدنا عن صميم الموضوع ، وبهـذا نكون ان مهدنا الطريق الى باب لم يزل مغلقاً، قد بلغنا الغاية التي بذلنا من اجلها هذا المجهود القليل .

(٥) ص : ٣٣٨ Claude Reignier Conder:Syrian Stone-Lote

(٦) ص : ٩٦٧ المجلد التاسع والعشرون Enc,Britannica

(٧) ص : ٢٢ ، ٢٨٦ ، ٥٩٠ سليمان البستاني : الياذة هوميروس « مصر ١٩٠٤ »

(٨) ص : ١٢٨ المجلد التاسع عشر Enc. Brit

(٩) ص : ٨١٩ المجلد السادس Oxford Dictionary

(١٠) ص : ٤٨،٤٧ احمد أمين: فجر الاسلام «الطبعة الثانية-مصر»

الباب الاول

رفض عبادة الاحجار في الجزيرة

الفصل الاول : في الاسلام

لم يبق الاسلام على أثر من عبادة الاحجار التي سادت أديان الجاهليين في بلاد العرب . فقد كان الشرك بالله اول ما دعا محمد الى محاربته والقضاء عليه . ولم يتساهل هذا الرسول العربي ، على ضعفه في بدء الدعوة ، مع قريش ، اشد القبائل مناهضة للدين الجديد ، في شيء من امور آلهتهم ، بل اخذ يسفه احلامهم ، ويعيب اديانهم ، بعد ان كذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ولما اشتد عليهم أمره وكادت تعاليمه تنتشر بين القبائل ، اجتمع رهط من اشراف قريش وبعثوا اليه فجاءهم ، وكان حريصا على رشدهم فقالوا له : « يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ، فما بقي امر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك .. فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك .. بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرءك منه او نعذر فيك » فيجيبهم محمد بقوله : « ما بي ما تقولون . ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم (١) » .

وهنا يعلمون ان بينهم وبينه لصراع المستميت فيجادلونه ويناضلونه سواء دفاعاً عما ورثوه من العادات المتأصلة والمعتقدات وذوداً عن حياض الآلهة ، او كما يرى نلدكه ، أنفة منهم عن الانصياع الى حاكم فرد او حكومة منظمة ، ورغبة في احتفاظهم بشؤون اقتصادية لها علاقة وثيقة بالمقامات الدينية بينهم (٢)

(١) ص : ١٨٧، ١٨٨ محمد ابن اسحاق - رواية ابن هشام : السيرة « جوتنجن ١٨٦٠ »

(٢) ص : ٦٥٩ المجلد الاول : Enc. of Religion and Ethics

وما زال هذا الصراع محتدماً حتى لانت قناتهم امام هذا الدين الجديد الذي حاربهم بالكلام والسيف .

وبدلا من اشتراطهم على النبي - فيما بعد - ان يعبدوا آلهتهم العديدة علاوة على عباده إلهه الواحد اساساً لدخولهم في الاسلام ، اخذوا يطلبون منه ان لا يهدم هذه الآلهة ، او فليبق عليها ولو مدة من الزمن فأبى ، بل وطلب من وفودهم ان يهدموها بانفسهم . رووا ان ركب ثقيف قدموا يريدون البيعة والاسلام ، واشترطوا ان لا يهدم لهم الطاغنة - وهي اللات - ثلاث سنين فابى عليهم ذلك ، فما برحوا يسألونه سنة سنة وهو يابى حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فابى عليهم ان يدعها شيئاً مسمى ، وكان من شروطهم مع ترك الطاغنة ان لا يكسروا اوثانهم بايديهم . فقال لهم : اما كسر اوثانكم فسنعفيكم منه (٣)

ومما يذكر ايضاً مع هذا الحديث ما رواه موسى بن عقبة قال : « ان وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسالوه عن الربا والزنا والخمر فحرم عليهم ذلك كله ، فسألوه عن الربة ما هو صانع بها ؟ قال : اهدموها ، قالوا : هيهات ! لو تعلم الربة أنك تريد ان تهدمها قتلت اهلها ! فقال عمر بن الخطاب : ويحك ما اجهلك ! انما الربة حجر . فقالوا : انما لم نأتك يا ابن الخطاب ! ثم قالوا : يا رسول الله تول انت هدمها . اما نحن فانا لن نهدمها أبداً . فقال : سأبعث اليكم من يكفيكم هدمها (٤) »

ولما خرج الرسول من المدينة متوجهاً الى مكة قال العباس ابن عبد المطلب : « يا صباح قريش ، والله لئن بغتها الرسول في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر (٥) » . غير ان محمداً يدخل مكة فاتحاً في السنة الثامنة للهجرة ، ويقف على باب الكعبة ، ثم يقول من حديث له : « يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب » ويتلو الآية : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم (٦) » ويخاطب قريشاً بقوله : « يا معشر قريش ويا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم ؟ » فيقولون :

(٣) ص : ٩١٦ : السيرة

(٤) ص : ٣٣ المجلد الخامس ، ابن كثير : البداية والنهاية « مصر ١٣٤٨ »

(٥) ص : ١٦٣٠ ، ١٦٣١ المجلد الاول ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك « مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٤ »

(٦) القرآن الكريم : سورة ٤٩ آية ١٣

« خيراً .. أخ كريم وابن اخ كريم » فيسرحهم ويقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (١) .

وهنا تتجلى سلطة النبي واتباعه ، بعد ان كان يستهزأ به وبدينه ، ويقال لتابعه وهو يعذب اشد العذاب : اما ان تموت او تكفر بمحمد (٢) . اما الآن فقد اصبح يفرض عليهم ما يشاء فرضا .. ويدخل الكعبة والاصنام مصفوفة بها فيطعنها في عيونها وهو قائل : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً .. ويصلي الظهر يوم الفتح ، ثم يامر بالاصنام التي كانت حول الكعبة كلها فتجمع ثم تكسر وتحرق . وفي ذلك يقول الليثي ، فضالة بن عمير بن الملوح :

أوما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسر الاصنام

لرأيت نور الله أصبح بيننا والشرك يغشى وجهه الاظلام (٣)

وينادي في هذا اليوم مناد يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك في بيته صنماً الا كسره وأحرقه وثمنه حرام (٤) »

ومن المفيد ان نشير الى المبالغات والاساطير التي حيكت فيما بعد حول اعمال المسلمين الاول بارباب العرب في الجاهلية وعبادتها . كأن يروى مثلا عن أبي هريرة قوله: «لما بعث الرسول اصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين ابليس فقالوا ما على الارض من صنم الا وقد اصبح منكساً، قال : هذا نبي قد بعث » (٥) .

ولقد يؤول ما عناه أبو هريرة ، ان ثبت هذا عنه ، بغير ما يفهم من كلمه مجردة ، فلا بأس عندئذ من تفسيره بان الاسلام قد نكس الاصنام ومحا أثرها بعد ذلك من اطراف الجزيرة باسرها

ويحدث ابن هشام عمن يثق به في اسناد له يرجع الى ابن عباس، قال : « دخل رسول الله (صلعم) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها ، وحول البيت اصنام مشددة بالرصاص ، فجعل النبي (صلعم) يشير بقضيب في يده الى الاصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا، فما اشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه، ولا اشار الى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن اسد الخزاعي في ذلك :

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب او العقابا(٦)

وانه ما كان يزيد الرسول على ان يشير بالقضيب الى الصنم فيقع

(١) ص : ١٦٤٢ المجلد الأول ، الطبري
(٢) ص : ٢٠٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ : السيرة
(٣) ص : ٧٦ ، الأزرقي : اخبار مكة « ليزك ١٨٥٨ »
(٤) ص ٧٨ ، نفس المصدر
(٥) ص ٢٠ ، المجلد الثالث ، ابن كثير
(٦) ص ٨٢٤ ، ٨٢٥ السيرة

لوجهه (٧) .

وهذا قليل بالنسبة الى ما يروونه من اعمال الانبياء او حتى الاولياء والدراويش .

ولما انتهى محمد من تحريق اصنام الكعبة وتكسيرها ، وتنظيف مكة منها ، بث السرايا الى اصنام القبائل الاخرى لهدمها ، فكان على رأس تلك السرايا عدد من مشاهير رجاله وقواده كالطفيل ابن عمر الدوسي ، وسعيد بن عبيد الاشهلي ، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وعلي بن ابي طالب ، وخالد بن الوليد وغيرهم.

وما ذاع نبأ وفاة النبي حتى وقع نعيه كالصاعقة على رؤوس المسلمين ، وكاد يذهل أشدهم صلابة وبأسا . وناهيك بابن الخطاب يقسم ان محمداً ما مات ! وعبثاً يحاول المغيرة اقناعه بالحقيقة المرة . ولما ألح المغيرة عليه قال له : كذبت ! (٨) . غير ان اناة أبي بكر وحزمه وضعا حداً لحدث عظيم في تاريخ الاسلام فقد فاجأ عمر ومستمعيه في المسجد بقوله : « ان من كان يعبد محمداً ، فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت (٩) وذكرهم بالآية التي كادوا ان ينسوها لهول الصدمة في تلك الآونة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين »(١٠) .

وبالرغم من اتخاذ المسلمين الحيطة لكي طارىء، فقد سرى الخبر بين القبائل سريان البرق ، وارتد كثير من الاعراب الى الطواغيت وعباداتهم الاولى ، وسمع مثل قولهم :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لابي بكر؟(١١)

حتى ان منهم من ارتد قبل وفاة الرسول ، وكان قد اسلم لغرض في نفسه ، فلما قضاه ارتد الى اهله مشركا وقال :

وكنت الى الاوثان اول راجع (١٢)

غير ان ابا بكر ، البطل الاول في حروب الردة ، يتصدى لهؤلاء بعقيدة ثابتة ، وعزم لا يتزعزع ، فيقضي على هذه الفتنة ويعيد المرتدين الى حظيرة الاسلام ، ويجري التاريخ ...

محمود الحوت

(٧) ص ، ٧٦ ، الازرقي
(٨) ص ٤٧٨ ، محمد حسين هيكل : حياة محمد « القاهرة ٣٥٤ »
(٩) ص ١٠١٢ ، السيرة
(١٠) القرآن الكريم : سورة ٣ آية ١٣٨
(١١) ص ١٨٧٥ ، المجلد الأول ، الطبري
(١٢) ص ١٥١٦ ، نفس المصدر

أشباه واضداد

□

نبرات* العصفورِ　　عند اطلال الدورِ
مثل أهزاج الحور　　في سماع المصدور

***

وا زفيرَ المصدورِ　　بين زهرٍ مخمورِ
كنذيرِ المقدور　　فوق جمع مغرور

***

رجع ميسات الخودِ　　في الملاءات السود
مثل مدات العود　　في ضلوع المعمود

***

يا وجومَ المعمودِ　　عند لهوٍ معقودِ
من رِبابٍ مسدود　　في رواق ممدود

القاهرة　　**بشر فارس**

* تجري هذه القصيدة على وزن هو «فاعلاتن مفعولن»، فكأنه يلحق بالبحر الخفيف، فيكون من مجزوئه مع عروض مقصورة وضرب مثلها في جميع الأبيات. وللشاعر حديث في هذا الوزن وفي غيره مما استنبط او استحدث، سياتي آجلا عند ظهور الديوان.

الرجل الصغير

بقلم عبد الملك نوري

قصة

طال انتظاره على الرصيف ، والشمس ايضاً ذهبت لعلها رقدت وراء تلك البيوت العالية. كل شيء يرقد في الليل ، ولكن خروف بدرية لم يكن لينام . انه ابداً يصيح في الحوش وينفذ صياحه من الكوة المدورة في اعلى الجدار وقد سأل امه يوماً « يوم ليش ما ينام الطلي بالليل ؟ » فاجابته « بيه جني، اسكت لا تسوي حس» وغلب عليه الخوف فالتصق بجسد امه الدافىء في ظلام الحجرة الصغيرة ذات الجدران المجصصة ، واخفى رأسه تحت اللحاف ، ولكنه لم ينم . والليلة ايضاً لن ينام امه مريضة مريضة جداً ، وعليه ان يسرع . آه لو يستطيع ان يركض ، ولكن الطريق طويل ، والظلام يخيفه ورجليه متعبتان.

ووخز عباس شعور بالقلق ، فترك المادة المنسابة من منخريه تتجمع رويداً على حافة شفته العليا واخذ يحك رجله المطينة بقدمه الحافية المعقوفة ، ويلف ذيل دشداشته الممزعة حول ابهامه الصغير . وكانت السيارات تمر بصمت امام عينيه الناضحتين بالقذى ولم تكن بينها تلك السيارات الكبيرة الحمراء التي ركب فيها مرة ومع ذلك اخذ يصيح كلما مرت به سيارة — « عمي تشيلني بعشر فلوس ؟ عندي عشر فلوس . عمي تشيلني بعشر فلوس ؟» ولكن السيارات الفارهة تمر غير آبهة به والظلام ينتشر بسرعة ويضطرب الناس من بعيد كاشباح الحكايات المرعبة ويشتد وخز القلق في نفسه ، ويمل من الصياح فتنتظم الكلمات القليلة في لحن ناغم متصل يردده لسانه دون وعي ويشيع النعاس في رأسه « عمي تشيلني بعشر فلوس عمي تشيلني بعشر فلوس عمي تشيلني بعشر فلوس ؟ » والسيارات تمر غير ملتفتة الى صياحه والحانه وقامته الضئيلة الغائبة في الظلام .

لقد طوى قدمه الصغيرة ثانية على رجله المطينة واخذ يحكها ثم اطلق لسانه ولعق المادة المتجمعة على حافة شفته العليا وارسلها الى جوفه متلذذاً بمذاقها . كان لها طعم زلال البيض المملح . وهو لم يأكل بيضة منذ اشهر . بيضة مسلوقة حارة تكوي يديه . ويترجرج زلالها الابيض حول « الصفار » الطازج . كان ذلك في الشتاء وامه لم تكن مريضة ، آه ليتها لم تكن مريضة الآن ، اذن لسألها ان تشتري له بهذه الفلوس بيضة من عمشة « الشركاوية »

وتذكر يدي عمشة الراعشتين و « العلاكة » التي تحمل فيها بيضها تحت القش ، والوشم الاخضر المنتشر على ذقنها كشجرة مقلوبة . وكز راحة يده الصغيرة على قطعة النقد التي اعطته اياها امه . لقد مدت يدها بمشقة تحت الوسادة واخرجتها له . وكانت بركة من القيء الاصفر تنتشر على الارض الى جانب البساط . ولم تستطع ان تتكلم ، كان وجهها مرعباً شاحباً ليس فيه قطرة دم . وعيناها قد خرجتا من حفرتيها ، واخذ هو يبكي ، كان يخاف لا يدري مم يخاف ولكنها تكلمت اخيراً . ففرح كثيراً ومسح الدمع بكم « دشداشته » . كان صوتها صوت رجل رجل كبير جداً ، وقد تذكر « اسطة » محمود زوج اخته ، ولكنها قبضت على ذراعه بشدة «روح كلها لمسعودة ...» ماذا يقول لها؟ وانتظر انتظر انتظاراً مؤلماً طويلاً «كلها اجه دتموت» واشبكت يديها فوق بطنها واخذت تتلوى . هوع ، هوع ، هوع . والقيء الاصفر يندفق من فمها ، هوع ، هوع ، هوع .

اصحيح هذا ؟ انه لم يرها هكذا من قبل . اصحيح انها اخذت تموت . وانه سيبقى من غير ام ؟ ابوه ايضا قد مات . ذهب .. لا يدري الى اين ، ولم يعد . واخوه الكبير كذلك ذهب ، ولكنه لم يمت ، لقد عاد من البصرة قبل شهرين ثم سافر الى الكويت . واما ابوه فلم يعد ، وقد قال له جابر انه مدفون تحت الارض وان الدود قد اكله . انه يخاف يخاف جداً ، يخاف ان تموت امه ايضاً ويأكلها الدود . ويبقى وحده في الحجرة المظلمة ينفذ اليه صوت الجني الكامن في خروف بدرية ، انه يحب امه يحبها كثيراً ولا يريدها ان تموت . لا يريد ان يأكلها الدود وان تنام تحت التراب . آه .. مسكينة امه الحبيبة العزيزة ..

وهطلت الدموع مجدداً من عينيه وانحدرت الى شفتيه فشربها واخذ يمسح وجهه بكمه اللزج الناقع بالعرق والطين . لقد نهره اخوه الكبير مرة اذ رآه يبكي ورفعه بيديه القويتين عندما رحل الى الكويت ونظر في عينيه « عباس . انت هسه رجال تمام . شد حزامك ودير بالك على امك »

وفي اليوم التالي قادته امه الى الاسطه جاسم البناء كان اقرانه يلعبون في الطريق لشد ما تاق ان يكون معهم . وقد ركضوا وراءه ونظموا له

« هوسة » . ولـكن امه شتمتهم وبصقت عليهم فتفرقوا . وفي ذلك اليوم نفسه ضربه الاسطة جاسم على اذنه لانه لم يعرف كيف يخلط الجص بالماء . فبكي وهرب الى اقرانه ولعب معهم حتى المساء . كانت اذنه تطن طنيناً غريباً ، كأن احد الولد كان يصفر فيها باستمرار . وكان ينشد الهوسة مع اقرانه عندما لمحته امـه فسحبته متمرغا على الارض الى الحجرة المظلمة واوجعته ضرباً وفي الصباح التالي قادته الى الاسطة جاسم نفسه « اريد اشوف اش خلف لك ابوك المشعول الصفحة ؟ خلف لك خزنة حتى تلعب بالدروب . صرت رجال صرت رجال . بس عاد . كلبي اتـكطع آخ .. الله .. لانعل ذاك اليوم الاسود »..

وكان الظلام يشتد. والسيارات تمر.. يحملق ضوؤها النفاذ في عينيه المريضتين . فترمش اجفانه ويستمر على صياحه حيناً حتى يمل . فتنتظم الـكلمـات القليلة ثانية في لحن ناغم متصل يردده لسانه دون وعي ويشيع النعاس في رأسه « عمي تشيلني بعشر فلوس عمي تشيلني بعشر فلوس عمي تشيلني بعشر فلوس ؟. واخذ يتثاءب واغمض عينيه « عمممي تشيلني بعععشر فلوس ؟ »

ولـكن امراً غريباً حدث فجأة فافاقت حواسه جميعاً ونظر امامه بامعان ـ على بعد خطوتين تمتد سيارة طويلة لماعة ينظر اليه سائقها المرح من وراء الزجاج ويقول له « اصعد » ايخاطبه ؟ ام هناك شخص آخر وقف وراءه . وتلفت حواليه مرتبكاً . ولـكن السائق ابتسم ابتسامة عريضة وفتح له الباب « اصعد » في هذه السيارة النظيفة السوداء التي لا يمتطيهـا سوى الافندية والبكوات ؟ وكل ذلك بعشر فلوس فقط ؟ انه لا يستطيع ان يجلس على مفرشها النظيف. يخشى ان يوسخه بدشداشته المطينة. وعند ذاك يغضب عليه السائق وربما ينزله في منتصف الطريق . لقد وقف وراءه وانفذ نظراته السائبة من الزجاجة الامامية . واخذت انفاسه الحارة تلهب رقبة السائق المرح . وكان السائق يحدث رجلا آخر جلس الى جانبه والسيارة تجري بهدوء لذيذ. كأنها غرفة تتحرك . والهواء البـارد يهب على وجهه الندي ويعبث بشعره المسدل على عينيه . لقد ركب بضـع مرات في سيارات كبيرة حمراء . وكاد ان يختنق من الزحام . كانت عيناه رمدتين . فاخذته امه الى المستشفى . وكان الطبيب يرتدي ثوباً ابيض ناصعاً جداً آذى عينيه . لم ير شيئاً من الطريق يومذاك . ولم يكد يستطيع ان يتنفس في الزحام . اما الان فانه يرى كل شيء ـ الشوارع التي تلتمع امامه في الظلام . والاضواء المشتعلة في رؤوس العواميد . والاشجار الرابضة على جانبي الطريق . والناس الذين يسيرون على الارصفة . ليته امتطى هذه السيارة في النهار . وليت امه لم تـكن مريضة . هوع .. هوع ..هوع.. وهي تتلوى على البساط والبركة الصفراء الى جانبها . وعيناها قد خرجتا من حفرتيهما .

لقد تجمعت في عينيه دمعات اخريات واخذ يحس بثقل في صدره. عليه ان يركض الى مسعودة حال نزوله من السيارة ويعود بها في سيارة اخرى. ستدفع هي اجرة الركوب . زوجها نجار. اسطة لديه عدد من الصناع ، وهي تستطيع ان تدفع الاجرة . فقط لو تقف السيارة فيطير اليها ويصل الى بيتها برمشة عين ...

وكان السائق يتحدث الى صاحبه ، فانصت عباس الى حديثهما ورأى الاشجار والعواميد تجري بالعكس وكذلك الطريق الطويل الملتمع. كانت هنالك مومس غارقة في دمائها امام باب المبغى العام وقد ذهب اخوها واسلم نفسه الى الشرطة والدماء تقطر من الخنجر... نعم الدماء تقطر من الخنجر. وجرى حديث الرجلين بهدوء كما تجري السيارة والبيوت ايضاً كانت تجري بالعكس وكل شيء كان يجري بالعكس ، ولـكن فجأة وقف كل شيء وصرخت عجلات السيارة فوق الارض فتسلل منها عباس بهدوء وعبر الشارع راكضاً ثم تريث هنيهة والتفت الى الوراء كالثعلب المطارد واختفى باسماً في ظلام احد الدروب وضحك السائق بصوت عال

ـ شفت الملعون شلون غفلني ؟

ـ ما انطاك العشر فلوس ؟

ـ لا. لـكن لو منطيني اياها قابل جان اخذتها منه؟

ـ بزر شيطان .

وقهقه الاثنان معاً وراح عباس يشق الظلام راكضاً ويضرب على فخذيه فتنبعث طبطبة رتيبة تؤنسه وتخفف شعوره بالرهبة . كانت البيوت تجثم في عناق مظلم رهيب ينطوي على عوالم غريبة موحشة ترسل الى الدرب بعض اصواتها واضوائها الخافتة من خصاص الابواب وفرجات النوافذ . ولم يكن في الطريق غير بضع اناس كاشباح الحكايات المرعبة . حصان يعلوه مكاري هرم يقدح زناده وامرأة تتحدث الى امرأة اخرى في عتبة احـد البيوت ودكان تدلى من سقفه سراج . صاحبه يكش الذباب عن بضاعته . والبيوت البيوت الـكثيرة المتزاحمة تتقاطر في سلسلة طويلة لا نهاية لها . واخذ عباس يلهث ثم فترت الطبطبة حتى انتهت وبعد لأي انتهت السلسلة ايضاً وعبر شارعاً آخر. لقد اطل

على ساحة واسعة واسعة جداً تنتشر منها بضعة شوارع عريضة ، ولكنها مظلمة لا تضيؤها سوى مصابيح قليلة وهنالك حوض كبير لا ماء فيه تحرسه ثلة من السباع وبالقرب منه بيوت مهدمة متاكلة تربض على تلال من تراب كل شيء فيها قد همد ونام . لا حس ولا حركة سوى بضع نسوة يجلسن صامتات مظلمات على مخارج بعض هذه البيوت لا يستطعن طبعاً ان ينقذنه اذا ما دبت الحياة في هذه السباع الحجرية وانطلقت تجري وراءه . وادرك فجأة انه لم يمر بهذه الساحة من قبل وانه لا يذكر اين يقع بيت اخته ولا يدري الى اي اتجاه يتجه . ان امه قد تموت اذا لم تذهب اليها مسعودة . لقد قبضت يدها على ذراعه بشدة «روح كلها لمسعودة اجه دتموت» آه انها ستموت ماذا يصنع ؟ واوشك ان يبكي ايضاً ولكنه تجالد ومسح عرقه بذيل الدشداشة وادلج في زقاق آخر . لا ، لا يذكر انه اتى الى هذه البقعة من قبل مرة واحدة فقط اخذته امه الى بيت مسعودة كان ذلك منذ زمان . زمان طويل جداً في عصر احد الايام والناس كثيرون في الطريق والبيوت مفتوحة والدكاكين ايضاً مفتوحة . ولم يكن هنالك ما يخيف . وعند المنعطف كان بيت اصفر جديد تلمع على زجاجه الشمس وبعض الولد الصغار ياكلون « دوندرمة » عند عتبة الباب . اراد هو ايضاً ان ياكل دوندرمة فاقترب من البائع وعربته الخضراء . آه كم كان يريد ان ياكل دوندرمة ولكن امه شدته فجأة من كمه ونهرته بغضب فانفجر باكياً واستمر على البكاء حتى بلغا بيت مسعودة وقال له زوجها « مو عيب تبجي ؟ انت رجال شلون تبجي ؟ » وقالت مسعودة «يوم ابقي ويانه على العشا» ولكن امه رفضت «اخاف ابقى يوم الدنيا صارت ظلمه واحنا وحدنا» «شكو عليكم عشتو عباس يوصلج» وفي طريق العودة لم يكن هناك بائع الدوندرمة ولم ير عربته الخضراء ولكن امه اشترت لعشائها جبناً ورغيفين وكان صاحب الدكان رجلا اسمر يلبس «جراوية» واشترت له امه بضع خيارات ففرح كثيرا واخذ يقص عليها كيف ضرب سلمان بن جواد الذي يكبره بالعمر بقشور البطيخ ثم اوقعه على الارض وحصل له « بسطة » من الاسطة جاسم وقالت له امه باغتباط «شفت هيجي الرجال يصبر ما ينغلب .»

وقف عباس وفتح منخريه للهواء النافخ . انه تعب جداً والزقاق ضيق ضيق لا يتسع لمرور اثنين وظلامه يخيف . كانت الشبابيك المتقابلة تنظر في بعضها البعض . وهناك احياء من عوالم تتنفس وراء الشبابيك العتيقة وتتحرك بهدوء كما تتحرك الثعابين رأى مرة ثعباناً اسود يتدلى من السقف ويتلفت يميناً وشمالاً . كان ذلك في البيت القديم ولكنهم تركوا ذلك البيت منذ زمان . وامه تقول ان هذه الحجرة نظيفة ليس فيها عقارب وثعابين . اما هذه البيوت فهي عتيقة عتيقة جداً ولعلها مليئة بالثعابين والعقارب والعناكب ، ولعل فيها « الطنطل » ايضاً لان الطنطل يعيش في الازقة الضيقة .

وتلاحقت انفاس عباس وهرع راكضاً الى فوهة الزقاق المروع . رأى على مبعدة منه مصباحاً يتدلى من «شناشيل» احد البيوت العتيقة فلاذ به ثم جازه الى مصباح آخر . كانت رجلاه تضطربان دون ان يحس لهما وجوداً واشباح المخاوف تتلبد في جمجمته المغطاة بالشعر الخشن . كان عليه ان يسير ولكن لا في الازقة الضيقة حيث يظهر الطنطل . انه وحيد في الطريق امه بعيدة عنه والناس نيام لا يسمعون صوته . وهو يخاف يخاف جداً من الطنطل ـ ذلك العملاق الجبار الذي ينطح برأسه السماء ويحلو له ان يلعب بالصغار كما يلعب الاولاد بالكرة ثم يقذفهم على الارض بشدة فتتفتت اجسادهم الصغيرة وتصبح تراباً . لا لا انه لا يريد ان يموت ولكن امه ستموت . امه ستموت اذا لم تذهب اليها مسعودة . آه اين مسعودة ؟ كيف يستطيع ان يجد بيت مسعودة ؟

انه لم يمر بهذه الطرقات من قبل .

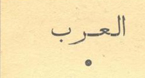
وتمنى ان يجلس على دكة احد البيوت دقيقة واحدة.ويركيء ظهره الى الباب . ولكنه يخشى ان ينام . وهذه الخربة التي تبدو امامه يجب ان يجوزها ان يجوزها مسرعاً . تحت انقاضها المغطاة بالتراب يعيش الجن وقد يظهرون له بصورة عنز اوكلب أو حصان .. يصفرون ويغنون بوحشية . وقد يطوقون عنقه من الخلف ويخنقونه بشدة ويرقصون حول جثته .

واخذت صحائف « الجينكو » تقرقع فوق السطوح وترسل موسيقاها الرهيبة في السكون المظلم . وهبت نسائم باردة على جبينه الندي والتصقت الدشداشة بجسده الصغير المبتل . وتوارد اليه ضجيج جماعة من الرجال . ثم رآهم يترنحون ويقهقهون . فاختفى في مدخل احد البيوت حتى مروا وعاود سيره . انهم سكارى ولا شك . لم يستطع ان يفهم شيئاً من كلامهم . وقد ارعبوه وجعلوا قلبه يدق بشدة . اوه متى ينتهي هذا الطريق؟ متى يصل بيت مسعودة ؟ اين ذلك البيت الاصفر الذي كانت الشمس تلمع على زجاجه ؟ عند المنعطف كان بائع الدوندرمة يقف وراء عربته الخضراء والولد يأكلون دوندرمة.وفي نهايته كان بيت مسعودة . بابه احمر مطرز برؤوس المسامير الغليظة . ووراء الباب ستارة من الخام . والحوش « طابوكه » احمر متآكل يعلوه الطين . ممن يستطيع ان يسأل ؟ لقد طال الوقت وامه قد تموت قد تموت اذا لم تذهب اليها مسعودة . انها تتلوى على البساط .. هوع .. هوع .. هوع .. والماء الاصفر يندفق من فمها ويتجمع على الارض . اوه انه يحب امه يحبها كثيراً .لا يريدها ان تموت . وتحسس قطعة النقد التي وضعها في جيب الدشداشة . وتمنى من مجامع قلبه الصغير لو لم تمرض امه انه يحبها يحبها كثيراً . واذا ماتت فلن يبقى له احد . اخوه في الكويت. واخته عند زوجها وهو يكرهه : يكره الاسطة محمود ويخاف منه . وتذكر فكه المربع الحليق وعينيه الواسعتين النفاذتين تحملقان فيه بقسوة . ويده الكبيرة الثقيلة التي شدت على كتفه بقوة يوم ذهب الى هناك مع امه « وعيب تيجي . انت رجال شلون تيجي » اوه يجب ان يجد بيت مسعودة ويذهب بها الى امه سريعاً سريعاً . سيركبان سيارة كالتي جاء بها او اية سيارة كانت وسيقول للسائق « امشي حبل عمي امشي حبل . تنطيك شكد ما تريد » ومسعودة ستعطيه خمسين فلساً . انها كثيرة جداً وهو يعمل من الصباح حتى المساء كي يتقاضى درهماً من الاسطة جاسم . ولكن افضل افضل من ان تموت امه . سيعطي للسائق « شكد ما يريد » سيعطيه حتى دشداشته اذا شاء . ورأى دكاناً يضطرب فيه ضوء خافت ورجلا شبه عاريكوي بعض الثياب . فدنا منه مسرعاً .. ـ عمي ما تعرف وين بيت اختي مسعودة ؟

ـ مسعودة ؟ ـ اى عمي . رجلها نجار اسمه اسطة محمود .

ـ اسطة محمود ؟ لا والله ياب ما اعترف .

اوه لا يعرف لا يعرف . ولكن هذه المراة التي تلقي بقايا طعام في الركن المليء بالزبل ؟ ولكن هذا الرجل الذي يدق على باب بيته دقاً شديداً ؟ ولكن ذلك الرجل القادم من بعيد يحمل شيئاً فوق رأسه ؟ اوه .. كلهم لا يعرفون كلهم لا يعرفون واحس بثقل شديد في صدره . وتوارد اليه ضجيج رجال آخرين يتشاتمون ويتراكضون وراء بعضهم . فالصق نفسه في مدخل احد البيوت واخذ صدره يعلو وينخفض ، يعلو وينخفض ، واخذ الثقل يشتد واحس وجعاً مؤلماً في صدره . انه تعب جداً . يريد ان ينام ان يتمدد في الحجرة الى جانب امه وينام. ولكنها مريضة . ومسعودة ؟ نعم ، مسعودة ، « كلهـا امج دتموت » آه انها ستموت ستموت . وانزلقت رجله الحافية فجأة في فوهة بالوعة ناضحة بالوحل الآسن فسحبها وكاد ان يصيح لشدة الالم ولكنه عاود سيره بصمت ، ورجله المبللة تترك آثاراً صغيرة مظلمة على الطريق المقفر . لا يستطيع ان يصرخ او يبكي . انه بعيد . ولم ينقذه احد من الطنطل ، الطنطل الذي يظهر في الطرق الخالية.وفي الطرق الخالية ايضاً يظهر «خناكين



الكلوب » عندما ينام الناس ظهراً او في الليل ينطلقون لاصطياد الصغار الذين يلعبون في الطرقات او الذين يكونون وحدهم بعيدين عن امهاتهم . يبدو الواحد منهم كالدرويش ذي لحية طويلة وخرقة حول الراس و«عوجية» غليظة يتوكأ عليها . ويحمل على كتفه علبجة يخفي فيها الصغار المساكين الذين يصطادهم ويذهب بهم الى البرية حيث يفتح صدورهم بالخنجر وياخذ قلوبهم الصغيرة وتوارد اليه من بعيد صوت منغم ضعيف « من مال الله والصخي حبيب الله » فاخذ يركض واخذ صدره يعلو وينخفض ، يعلو وينخفض . انه لا يعرف بيت اخته . والوقت قد فات . الافضل ان يعود الى امه . لعلها شفيت الان ولم تعد بحاجة الى مسعودة وهو سيفعل سيفعل لها كل ما تريد . سيبكي وسيقبل يديها ورجليها وذيل دشداشتها وسيتضرع الى الله كي يشفيها . يقف على السطح ويكشف عن صدره ويتضرع ويبكي حتى الصباح . لعل الله يحن قلبه عليه ويشفي امه . لقد مات ابوه من قبل . فهل تموت امه ايضاً ويبقى وحده في الحجرة المظلمة ؟

وانعطف مع الطريق وعاد الى مشيته اللاهثة القلقة ، عبر العواميد الطويلة والبيوت المتعانقة والمصابيح المدلاة من شناشيل بعض البيوت . الحر شديد شديد جداً . لا يستطيع ان يتنفس . ورجلاه تحترقان وجسمه غدا ماء ماء كله . آه ليته يستطيع ان ينام كما تنام هذه العربات التي غرزت انوفها الطويلة في التبن واستراحت من عناء النهار . لقد وقف هنيهة يتأمل الدهليز المظلم الواسع والساحة المفروشة بالتبن والعربات النائمة والخيول المربوطة الى معالفها ، كان بعضها وقحاً يضرب الارض بحوافره ويصهل كما يصهل الجن الذين يظهرون في الطرقات الخالية . وكان هناك رجل وامرأة جالسان حول موقد تشتعل تحته النار .

ـ عمي .. ما تعرف وين بيت اختي مسعودة ؟

ونظر اليه الرجل بعينين مرعبتين ـ هاك .. روح ولي .

ورمى اليه قطعة من الخبز . ـ عمي بيت اختي ...

ـ اكلالك ولي ... هالمرة المجادي على راسنا .

وانسحب عباس فوق التبن الدافيء ، والدموع تسيل على خديه وابتلعته الدروب المظلمة من جديد . يجب ان يذهب الى امه ان يذهب اليها سريعاً وينام في حضنها . ولكن من اين يخرج ؟ اشتبكت فوقه نوافذ البيوت وطوقته الظلمة من كل جانب . ليته يصل الى الشارع ، الى اي شارع . هنالك الاضواء كثيرة تشتعل في رؤوس العواميد . والدكاكين مفتوحة والناس ما يزالون يسيرون والسيارات تجري بكثرة . اوه انه كان يشعر بارتياح كلما وجد نفسه في الشارع . وفي المرة الاخيرة كادت سيارة طويلة ان تدهسه لعلها نفس السيارة التي جاء بها . وقد اراد السائق ان ينتقم منه لانه لم يعطه العشرة فلوس ؟ وتلمس قطعة النقد مرة اخرى وفرح لانها ما تزال في جيبه . آه ليته يصل الى الشارع . ولكنه يدور يدور فقط في الازقة الضيقة وهذه الخربة التي جازها قبل مدة تبدو امامه من جديد ... يجب ان يعود ان يعود مسرعاً . ان «طربكة» ثقيلة تنبعث من وراء الخربة طربكة شديدة مرعبة . والصهيل الموحش يشق السكون المظلم ويصم اذنيه . لقد دار رأسه واشتد الرعب في قلبه الصغير واخذ صدره يعلو وينخفض يعلو وينخفض . ان يداً تشده من خلف .. من « زيك » الدشداشة تشده وتشده وتكاد توقفه في مكانه . يجب ان يركض .. يجب ان يجري مسرعاً ولكن رجليه لم تعودا تجريان لقد توقفت حركتها وصهيل الجن يصم اذنيه واليد المخيفة تشده تشده من زيك الدشداشة .. آه اين يذهب ؟ اين امه ؟ « يوم ولج ، ولج يوم » والدموع تسيل والدموع تسيل على خديه الشاحبين «يوم ، ولج يوم» واليد تشده تشده بقوة . لقد انطلق الجن من وراء الخربة والطربكة تقترب منه «يوم ، يوم ، يوم» والطربكة تقترب وتشتد ووجد عباس نفسه في مدخل احد البيوت لاصقاً ظهره بالباب ، يرتجف كل ما فيه ويصيح بصوت مخنوق » «يوم ، يوم ، يوم ، فدوه يوم ...»

ومر رجل فالصق نفسه بالباب شديداً وكان حصان يطربك وراءه ، حصان ضخم جبار ، ثم حصان آخر نظر الى عباس بعين واحدة مخيفة ونفخ في وجهه بضع نفخات .. وغاب في الظلام فابتعدت الطربكة وغابت ايضاً وراء المنعطف الضيق واخذت نسمة لطيفة تحرك احد المصابيح المطلة على الخربة وتدغم اضواءه المضطربة في الظلال المنتشرة على الانقاض .. وقد برز طرف من شباك تحت الاتربة المركومة .. وكان الهدوء يحتضن كل شيء .

بغداد — **عبد الملك نوري**

إلهيات !

☆

للدكتور اسحق موسى الحسيني

☆

يا إلهـي !
ارى عشرائي نوعين :
نوعاً يفتق حديثه ذهني ويلهمني ويوسع آفاقي ،
ونوعاً يسد حديثه علي ابواب الفكر ويضيق آفاقي
ولا يلهمني شيئا .
يا إلهـي !
إذا كنت من الفريق الثاني فيا لضياع عمري ؟

***

يا إلهـي !
تحدثت ثم تأملت فيما تحدثت
فوجدت جزءاً منه مدحاً لنفسي
وجزءاً أتعالى فيه على محدثي
وجزءاً أزين فيه بياني
والباقي جوهر الحديث .
وعندئذ صغر حديثي في عيني
وعزمت على أن اصمت واتكلم قليلا !

***

يا إلهي !
إن اقسى عقاب تنزله بالانسان
ان يسرد عليك افعاله
وعيناه في عينك !

***

يا إلهي !
دانني والدي فدنت ولدي ،
وسيدين ولدي حفيدي ،
وحفيدي ولده الى نهاية الذرية .
فمتى ، يا إلهي ، نرتقي بدلا من ان نتحدر
فأدين والدي ، ويدينني ولدي
ويدين حفيدي ولدي ؟

***

يا إلهي !
إن الارض وطن الناس جميعاً ،
اما وطن الفرد فمحمول على منكبيه !

***

يا إلهي !
اشكو اليك ضعفي .
إني اهجم على لجة البحر متحدياً مصاولا ،
ولكني اغرق في ملء ملعقتين ماء !
يا إلهي !
اغفر لي ...

***

يا إلهي !
فكرت ان ابرأ من بني قومي ،
فوجدت اني ابرأ من نفسي ،
وعندئذ عزمت على ان احمل
ذنوبهم بشجاعة .

حول تاريخ الادب العربي الحديث

بقلم محمد يوسف نجم

ادبنا الحديث ، في بيئاته المختلفة ، مهمل لا يلقى من العناية ما يعدل بعض ما يلقاه أدبنا القديم. وربما نذهب في تعليل هذا الاهمال مذاهب شتى ، وربما نلتمس لهذا الاعذار القوية او الواهية ، اذ أن ذلك جميعه لا يغير من الواقع شيئاً ، والباحث في هذا الادب لا يجد سوى مراجع قليلة ، اكثرها مدرسي ، وهي على اختصارها ، لا تخلو من الاخطاء ، التي تسربت اليها بسبب من طريقتنا في دراسة الادب وجمعه وتبويبه .

هذا الذي تتغنى ، او تتمثل به من شعر المحدثين ، وذاك الذي نستمتع بقراءته من آثار كتاب القصة او الاقصوصة او المسرحية ، لا نجد ضابطا تاريخياً يضبطه ، ولا نعثر على سجل يمسكه قبل ان تبعثره عجلة الزمان . وقد تجمع لنفسك باقة من شعر شاعر قضى ، كما يقولون ، في عمر الزهور ، وقد تقرأ بعض اقاصيص كاتب صرفته مطالب العيش القاسية عن الادب ، او تشاهد مسرحية لروائي لم تسعفه ظروفه على الدعاية لنفسه ولفنه . وقد تعجب بأحد هؤلاء او بهم جميعاً ، فيروق لك ان تعبر عن اعجابك هذا في حديث تسوقه الى اصحابك او في مقال تنشره في صحيفة مقروءة او في كتاب تدفعه الى المطبعة فلا تجد في المراجع او الاخبار المتناقلة ما يعينك على اداء هذا الواجب كاملا او ناقصاً .

يشعر بهذا كل من يتصدى لدراسة أدبنا الحديث في هذا القرن من الزمان الذي ضم بين طرفيه اسباب هذه النهضة ونتائجها . ولا اقصر حديثي هذا على هؤلاء الكتاب الذين عاشوا في بيئات اهملتهم او اهملوها هم ، او اولئك الشعراء الذين غنوا لانفسهم واطلقوا اشعارهم بين جدران مساكنهم او على شواطئ احلامهم ، دون ان يأبهوا لمن حولهم من المستمعين او المستمتعين . فللتاريخ عذره مع هؤلاء ، ان عفى على آثارهم او عجز عن جمعها . ولكني اضرب لك المثل من حياة الشوامخ والاعلام الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس . فانت اذا حاولت ان تبحث عن اخبار شوقي وحافظ ومطران والرصافي وعلي محمود طه وبعض أدباء المهجر الذين ودعوا الحياة ، لن تجد منها ما يعينك على دراسة ناضجة تتبع اساليب المنهج الدراسي الصحيح كما تمثلها اعلام النقد في الغرب وفي الشرق . بل ابحث عن حيوات الادباء الاحياء ، الشيوخ منهم والشبان ، وسيعييك البحث قبل ان تصل الى بعض الحقائق المفيدة التي تعينك على بعض من دراسة .

هذا ما يختص بالشخصيات . ولو انك اردت ان تؤرخ حركة كبيرة او تياراً ادبياً واضح الاثر في حياة الفكر العربي المعاصر ، كتطور القصة او الاقصوصة ، في مصر او في بلاد الشام ، او حركة المسرح والمسرحية في نهضتنا الحديثة ، او العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي اثرت في تطور ادبنا هذا ، لما وجدت من المراجع ما يعينك على استيعاب هذه الحركات وتعمق دراستها ، الا في بعض اعمال المستشرقين، التي قد تعينك بما فيها من الفهارس والاحصائيات القيمة .

هذه ملامح من قضية تأريخ ادبنا الحديث . أردت ان اعرضها على الخاصة ممن يعنون بدراسة هذا الادب ، لنشترك في الرأي ، في تحديد المسؤولية وتوضيح المنهج الذي يجب ان يتبع حتى يقوم الدارسون بواجبهم خير قيام . ولنا من هذه النهضة الادبية المباركة خير مشجع على الاضطلاع بتأريخ هذا الادب وتقويمه ووزنه في موازين النقد الحديث .

وأنا اتهم في المقام الاول الادباء انفسهم ، الاحياء منهم والاموات ، اذ قلما نجد منهم عناية جدية في انارة السبل لمن يريد ان يؤرخ لهم او لمعاصريهم . فلئن أرخ بعضهم نواحي او فترات من حياته في مقال او ترجمة ذاتية او قصة ، فان هذا القدر من المعلومات لا يعود على الدارس الا بالقليل ، بعد ان تشعبت طرائق الدراسة الادبية ، ودخلت فيها علوم اخرى

كعلمي النفس والاجتماع ، مما اشعر الدارس بوجوب الالتفات الى الوثائق الهامة ، والاخبار التافهة التي تتعلق بحياة الشخصية او بتاريخ الحركة ، لان لهذه التوافه كما لتلك الوثائق وزناً اي وزن عند علماء الاجتماع او علماء النفس ، وقد يبنون على حقيقة بسيطة تاريخاً جامعاً ، او قد يكشفون عن عوالم متعددة متنوعة الجوانب او يرسمون شخصية كاملة معتمدين على اللمحات العابرة او على فلتات اللسان . وكثيراً ما تكون الاعترافات او ادب البوح، والتراجم الذاتية مدرجة الى الخطأ ، حين يكتبها الكاتب مغرضاً او مزيفاً او على استحياء . ولو طالبنا الكاتب بشيء من هذا ، فلنا ان نطلب اليه ايضاً ان ينسى نفسه ، ولو قليلا ليتحدث عن معاصريه من الادباء ، ورجال الفكر كما فعل بعض الكتاب الاوروبيين حين تحدثوا عن اصدقائهم ومعاصريهم من ادباء العالم الذي عاشوا فيه .

وفي المقام الثاني بعد الادباء ، اتهم معاصريهم من رجال الفكر والصحافة الذين يفترض فيهم الاهتمام بمثل هذه الحركات . فلو ارخ لنا مفكر كلطفي السيد او محام صحافي كمحمد حسين هيكل حياة عصره وبيئته ، مهتما بالادباء ورجال الفكر لرأينا في كتابات كهذه مرايا صافية تعكس روح العصر والبيئة الزمانية ، ولاعاننا ذلك على التخلص ، الى حد كبير ، من شر هذا التخبط الذي نعانيه اليوم .

وهذا الالزام ينسحب في نظرنا على المؤرخين ورجال الفنون الاخرى من ممثلين وموسيقيين ورسامين ، فان دراسة البيئة الفنية للادب الحديث تساعد على تفهم روح هذا الادب ، والجو الذي كان يتنفس فيه الادباء .

ثم يأتي دور الجامعات والمعاهد العلمية ، فالازهر والجامعة الاميركية والجامعة اليسوعية وجامعات مصر ، كلها تقف في قفص الاتهام ، حين تهم اولئك الذين اضاعوا جزءاً من تراثنا الادبي الحديث . فواجب كليات الاداب في الجامعات والمعاهد العلمية في الدرجة الاولى هو العناية بدراسة الحركات الفكرية المعاصرة وتأريخها ، ولعل القائمين على هذه الكليات خير من يشعر بالمشكلة . واني لاعجب للاستاذ الذي يتخبط في دراسة الادب الجاهلي ، ويقضي اياماً وليالي في محاولة شاقة لمعرفة نسبة بيت من الشعر الجاهلي او الاموي ، او في تاريخ طرف من حياة شاعر اموي او عباسي ، كيف لا تدفعه هذه الصعوبات الى ان يرصد ما يقع بين يديه او ما يعاصره من اخبار الادب الحديث وحركاته ، لتنجو الاجيال التي ستليه من شر هذه الفوضى . ومن المدهش حقاً ان تجد الجامعات العربية اليوم تطلب الى الدارسين فيها تجنب الدراسات الادبية التي تمس الاحياء من المعاصرين ، وتلزمهم الاهتمام بالقديم ، فكأن التخبط والفوضى في دراسة الادب اصبحا عقلية لنا لا نستطيع ان ننسلخ عنها او نسلخها عنا ، وهكذا تسير الامور من جيل الى جيل وعقلية السلف يرثها الخلف ، وتضيع الاخبار المحققة والآثار المثبتة نتيجة للوجل والاهمال .

ثم يأتي دور الحكومات، ووزارات المعارف فيها على وجه التخصيص . فالحكومات في بلادنا لم تكتف باضطهاد بعض الادباء ومطاردتهم في عيشهم ، بل نراها تهمل اثارهم كل الاهمال . وواجب الحكومة تجاه الادب ، فيما نرى ، بالاضافة الى تشجيع رجاله بالمنح والبعثات الدراسية ، يمتد الى رفع مستواهم في الهيئة الاجتماعية ، واعتبارهم بين قادة الامة من زعماء وسياسيين ، ومن ثم يترتب عليها ان تعنى بآثارهم وحياتهم ، فتجمع ما لهم من آثار في دور الكتب التابعة لها وتحتفظ بسجلات تحوي وقائع حياة كل منهم بالتفصيل . وهذا عمل يتيسر لوزارات المعارف ، وبخاصة اذا وظفت له الموظفين في دور الكتب العامة . واذكر هنا على سبيل التمثيل اني لجأت الى الملحق الثقافي بمفوضية احدى الدول العربية لاستعلم عن بعض الادباء الذين عاشوا في بلاده في القرن الماضي وفي اوائل هذا القرن ، فوجدت انه يجهل الادباء المعاصرين في بلده بله الغابرين ، وعجبت آنذاك كيف لا تهزنا جهود الفرنسيين والانجليز والاميركيين وسواهم في نشر ثقافتهم في معاهدهم ومنتدياتهم في بلادنا .

وبعد ، فان تاريخ الادب الحديث ، كما عرضنا ، لا يمكن ان يتيسر للناقد او المؤرخ الا اذا تعاون كل من ذكرنا من ادباء ومفكرين واساتذة وجامعات وحكومات على تيسير ذلك له ، بجمع الآثار والاخبار كاملة وتسهيل الوصول اليها . وواجب الناقد والمؤرخ آنذاك ، ان يتقدم الى هذا التراث مسلحاً بالموهبة والثقافة ، مجرداً من كل هوى ، عازماً على الجد والمثابرة .

عند ذلك نطمئن الى مستقبل أدبنا وادبائنا . ولعل اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية تعنى بهذا الامر ، فتكون اول لجنة في هذه الجامعة تقدم للعرب خدمة تذكر .

القاهرة

محمد يوسف نجم

رسالة

صلاح ستيتيه فتى يافع لا يتجاوز الثالثة والعشرين . حنت عليه آلهة الشعر منذ نعومة اظفاره، فسكبت في روحه العذوبة ، وفي قلبه الحساسية ، وأسالت على شفتيه رضاب الابداع .

في الثامنة عشرة من عمره ، نظم الشعر بالفرنسية ، وهو في لبنان. وما لبثت الاوساط الادبية الفرنسية ان تيقظت على صوت هذا الفتى ، ونشرت له الصحف قصائد هائمة ، فيها كآبة وفيها عمق ، وفيها نغم .

أسمعني هنا بعض شعره ، وأسمعني قطعة نثرية بعنوان « رسالة » احببتها وآثرت ان انقلها هنا الى العربية ، وكلي خشية ان اكون قد شوهتها .

واني لاتساءل بعد : ايكون من صلاح ستيتيه « رامبو » آخر ؟

باريس — سهيل ادريس

منذ ان رحلت ، اصبحتُ رفيق كل ما ليس له اسم على الارض : الغيوم والرياح.. دخلت في ظلال الجدران، وعرفت صدفة الدروب .

منذ ان رحلت ، غدا الليل صديقي . فاغدق علي من حنانه ، وحباني اجمل آلامه .

عرفت الحوارات العنيفة ، ونمت وعلى الطاولة مرفقاي ، وشربت لاخدع الهمّ .

حاولت طويلا ان انازعك العالم ، وتصنعت أني اهتم بالاشياء ، ولكن يقظة الاموات لا تخدع ، كنت ذلك الشكل الغامض الذي يملكون ، وكانت ثمة دائماً بسمة منك في السماء . كنت تلك المسافة المتساوية حيث لم اعد اعرف كيف ألقى نفسي .

وأتى يوم كان علي فيه ان استسلم .

واذ ذاك لم يبق أحد يريد مني شيئاً . وقذفوني كالكلب . إنهم لا يحبون الا الحياة .

ومنذ ذلك اليوم ، تنقضي حياتي في انتظارك . واني لاسمعك آتية الى اعماق ذاتي كنحلة في الصباح .

إنك ترسمين درب دموعي . إنك اخلص للألم مما كنت ـ حياتك ـ للسعادة .

منذ ان رحلت ، اصبح العالم هذا الشيء الحائر .

لم يبق لي في الساعة زمن . إن لها في العمر دقة واحدة .

باريس — صلاح ستيتيه

الجنازتان

بقلم سعيد حورانية
من رابطة الكتاب السوريين

قصة

كانت انفاسها* تتصعد في بطء مخيف وهي تحاول السعال فلا يخرج منها سوى انين خافت. وتعلقت عيوني في وجه الطبيب الذي يبدو متجعداً كقطعة من الخيش، وسقطت نظارته الى انفه، فرفعها بيد متقلصة معقوفة الاصابع كظفر القط وهبط على الغرفة صمت ... وفجأة رفع الطبيب راسه، ثم نظر الينا واحداً واحداً.. فادرت عيني الى ابي واخوتي، كان الرعب متجسداً في عيونهم، وكأنما شعر الطبيب بخطورته فتهادى بطيئاً نحو الباب : - علي بالمطهر

- وقفز اربعة منا لتلبية النداء وراحت يداي تبحثان في الدرج بارتباك وجنون حتى وجدته، فقدمته الى الطبيب وقد احسست بشيء من الزهو ووجد أبي اخيراً الكلام :- طمني يا دكتور.

ونظر الطبيب الينا بعينيه الكابيتين، ثم القى نظرة على امي المحتضرة. وقال بصوت خافت عميق :- انها في خطر !!.

واخذ يسعل، بينما نظر بعضنا الى بعض في حيرة ورعب، وفجأة قال: - انه السل !!...

وشعرت برعشة تهزني وخيل الي ان رأسي اكبر من الغرفة واسرعت بالخروج لاخفي دمعة باكية. ووجدت اخواتي واقفات فبادرتني باسئلة عدة : مالك مكفهر الوجه؟ ماذا قال الطبيب ؟. وهزتني اختي الكبرى التي غطى النمش وجهها، قل، انطق، فقلت في صوت اردته ان يشبه صوت الطبيب :- هي مريضة بالسل!

ونظرت الى اختي الكبيرة، وقد تقلص وجهها فبدا كجلد الفيل، وقلت مندفعاً في حمق : - الم اقل لكم من زمن انتم .. اقصد نحن .. تقتلناها ؟.

ويظهر ان دموعي هي التي شفعت لي، فقد بدا لي وجه اختي وهي تنظر الي بوحشية، وتخيلت كلمتها الخالدة- اذهب يا كلب !!.

واسرعت بالدخول لاجد الطبيب يلملم ادواته وهو يقول بصوت غير مكترث وقد حاول ان يلبسه مسحة مضحكة من التأثر :- اذا استطاعت ان تقاوم، فستعيش الى المساء ..

ونظرت الى ساعتي فاذا هي العاشرة ... ثماني ساعات فقط وتكون امي العزيزة قد غادرت هذا العالم الى عالم مجهول لا نعلم عنه شيئا ...

فائز !! - نعم بابا ... - انقل الكراسي من الصالون الى ارض الدار ... - هناك كرسيان في غرفة اخيك لا تنسهما. - ثم خذ الباص الى خالتك واعلنها النبأ ... اسرع ...

ووجدتني ادور كاللولب، وبحثت عن الدموع في عيني فلم اجدها، وران على قلبي صمت ثقيل، فاديت العمل كالآلة حتى انتهيت من نقل الكراسي فصففتها صفا مزدوجا ... ومررت يدي على وجهي فوجدت ذقني نامية، وشعرت بارتياح خجول عندما تذكرت كذلك ان عندي بذلة سوداء وربطة عنق بنية يجب ان البسها. ولبست البذلة وعقدت الربطة وانا انظر في المرآة الى شعري المهمل، ووجدت يدي ترتفع لتشوشه، ومررت على الشعيرات النامية في ذقني ثم انسللت من الباب الخلفي لاخبر خالتي.

وركبت السيارة وانا اتساءل ما معنى ان امي قد ماتت ؟.. سؤال سخيف يطرحه شاب مثقف على نفسه وشعرت بتفاهة معلوماتي ... واحسست بالناس حولي غريبين عني، نظرت الى وجوههم الجامدة بغيظ، وتمنيت ان يعرفوا جميعاً ان امي قد ماتت لاحظى بشيء من المهابة، وارتفع صوت بكاء مزعج لطفل صغير فأخذت امه تهدئه وتعلله بالاماني وهو يزداد حدة، بينما قال احد الشباب وهو يخفي وجهه : - عطيه بزه !!.

فضحك بعض الناس وعبس آخرون، واندفع شخصان امامي في مناقشة حامية عن اسعار القمح وضرورة وجود الميرة وعدمها، وسمعت صوتاً من ورائي لشاب مراهق يتنهد بعمق وهو يسب جمال احدى الممثلات، بينما صم آذاننا بوق سيارة قد افلت في « باب الجابية » فنزل صاحب السيارة يحاول ان يصلحه، وهو يبصق ويسفح اللعنات ...

وقفز الى ذهني خاطر ... كم اتمنى ان يفقد هؤلاء الناس جميعاً امهاتهم في هذا اليوم ليشعروا بعمق مصيبتي، وابتسمت في سخرية، المهم ان امي قد ماتت او ستموت بعد ساعتين، ومهمتي أن انقل الى خالتي النبأ، وتصورت يدي تدق الباب وخالتي تفتحه، ثم تشهق حينما ترى وجهي الكامد، وانفي اللامع مع كثرة البكاء، وصوتي الذي احاول ان اجعله خطيرا :- ان امي ماتت !!. وتصورت وجهها الملي، وقد اتسعت حدقتاه

* فازت هذه القصة بالجائزة الاولى في مسابقة القصة لجمعية محبي الفنون الجميلة بدمشق، واذيعت في محطة اذاعة سوريا

وغشاء الدمع ، وصوت بكائها ولطماتها على وجهها ، والكلمات التي ستولول بها ... ان مهمتي خطرة حقاً .

ستقودني خالتي من يدي بسرعة لاطلعها على التفاصيل ؟ وستسألني ان اخفض الصوت حتى لا ازعج جدتي المقعدة ،التي هي على شفا الموت ، واحسست بالغضب، هذه العجوز الدردبيس كم شاهدت في حياتها من نكبات ، انجبت ثلاثة عشر ولداً مات اكثرهم في المهد ، وعاش لها خمسة اولاد مات احدهم وهو في الثلاثين من عمره بالسل الرئوي ، ومات زوجها بلدغة ثعبان ، وحفيدها تحت انقاض سيارة تدهورت في وادي خالد ... كل هذا وهي لم تزل قوية ، مكينة ، قد جاوزت الثمانين واحتفظت بكامل قواها العقلية ، تدفن ابناءها بيدها ثم ترجع الى جلستها الخالدة وراء كرسيها العتيق الصدىء ....

ووجدتني أصرخ في اعماقي... اما كان من الممكن ان تموت جدتي مثلا عوضاً عن امي ؟ لقد شبعت من الحياة وشبعت من رؤية الموتى هذه العجوز كم اتمنى ان اخنقها .. ماذا رأت امي من الحياة بعد ؟ وتصورتها صحيحة تملأ البيت مرحاً وغناء ، واحسست اصابعها تغرق في شعري وتهيب بي : ــ هيا يا فايز انجح السنة وسأسمح لك بالتدخين !! ..

فاضحك من اعماقي واضمها بعنف . ــ سانجح يا امي اريحي فكرك انا ذكي الا تعلمين ؟ يومان اقرأ فيهما ويكفي وترتسم على وجهها ظلال من الشك هل ساشهد ذلك حقاً ؟.

وساءت نفسي للمرة العشرين هل من الصحيح ان امي قد ماتت ؟ وهل الموت بهذه الهولة ؟ . يا ليتني استطيع ان اموت عوضاً عنها .. نعم كم اتمنى ان اموت .. وشعرت بالعرق يبلل جبيني وبالخجل يكاد يقتلني ، هل انا صادق ؟ هل اتمنى حقاً ان اموت لنعيش امي ؟ والشعر ، والقصص ، والشهوة ، والرسالة التي اعتقد انه يجب ان أؤديها ، ومناهج الحياة ؟ يا لي من جبان لو كنت مكانها الان لتمنت الموت عوضاً عني من دون ادنى تردد.

وشعرت بلساني يجف في حلقي واخذت اتشاغل بالنظر ، ثمة بائع للعرقسوس يضرب بطاسته الهادرة ، وتلك امرأة تبدو مسرعة ، وطفلان يتصارعان ، وتلك سيارة بويك موديل الواحد والخمسين ... عبثاً احاول ان ابعد عن نفسي الشعور باني حقير ، حقير لدرجة تجعلني اقيء من الغثيان .

***

امسكتني خالتي من يدي في ذعر ، وشعرت بيدها تؤلم ذراعي في ضغط عصبي قاس ، ثم قادتني الى الصالون وفاجأتني بقولها : ــ لا تقل شيئاً ، اني اعرف ان امك تموت !! .

واعترتني دهشة فيها بعض خيبة الامل ، فقلت لها بصوت خافت .. ــ ومن اخبرك يا خالتي ؟.

ــ ان شيئاً منذ الصباح يقبض على نفسي ، اني اعرف اعراض المرض « وشهقت بالدمع » الم يمت خالك فيه ؟ ولكن انت لا تذكر ... لو اعتنيتم بها قليلا لتداركتم المرض .

فاندفعت اقول بصوت هادر : ــ انهم مشغولون يا خالتي بعرس اختي ، لقد اعمتهم الفرحة ، فلم يشاهدوا امي وهي تذبل.

وخيل الي ان نظرات خالتي تخترق صدري فشعرت بالخجل ، ثم ان لي جزءاً من المسؤولية ، فاندفعت فجأة في بكاء واهن ، فضمتني خالتي الى صدرها واحسست بدفء الصدر ، وتمنيت ان ابقى هكذا الى الابد ، ولكني تخلصت بسرعة فقالت لي بعجلة : ــ احذر يا فائز ان تسمع جدتك ، لقد قال الطبيب ان اقل صدمة ستقتلها « واخذت تبكي بحرقة » لا اريد ان افقدها ايضا .. وصمتت قليلا وقالت :ــ سالبس ثيابي ، انتظرني ولن اطيل عليك .

ثم توارت وهي تضرب كفاً بكف ، وخرجت الى غرفة جدتي ووقفت متهيباً الدخول ، ولكن صوتها دعاني في خفوت ان ادخل ، اذن فقد شعرت بي .. وبدا وجهها نحيلا جدا كانه وجه لعبة طفل ، وخيل لي انها تهللت لرؤيتي ، فوقفت قليلا امامها دون ان اتكلم .

ومدت الي يدها فاخذتها باشمئزاز لأقبلها فقالت في هدوء : كيف حال امك ؟ لم نرها منذ مدة .

فاخذت اغالب دموعي ثم اندفعت في البكاء ، وانا اقول لها وقد انتفخت عيوني بغيظ : ــ انها ماتت يا جدتي .

فحدقت بعينيها في رعب لا يوصف ثم قالت بصوت مرتجف : ــ ماذا قلت يا فائز ؟

ــ الا تسمعين ؟ ماتت .. ماتت .. انت العجوز الفانية تعيشين وهي الصبية الفاتنة تموت !!

ثم علا صوتي فاصبح كصوت الرعد : ــ لن تموتي حتى تدفنينا كلنا ...

واهتزت يدها في يدي هزة عنيفة .

***

وفي اليوم التالي سرت في الموكب الحزين وانا اغص بالدمع وهو يتجه صوب المقبرة ، وقد بدا النعشان الخشبيان متعانقين. واندفعت امام عيني صورة جدتي جاحظة العينين ، ووجه خالتي وقد امتلأ بالتأنيب ، وصورتي وانا اركض ، واركض لاختفي في الدرب المتعرج الطويل .

دمشق سعيد حورانية

الشاعر الفلسطيني المجاهد عبد الرحيم محمود

بقلم عيسى الناعوري

هو شاعر مجاهد بكل ما تحمله هذه اللفظة من معان ، فقد عاش حياة كلها نضال وعراك ، نضال وعراك مع الحياة ، ومع اعداء امته ووطنه . عاش في السلم يعد امته للجهاد ولنضال الحرية ، بشعره الوطني الملتهب المتدفق ، واما في الحرب فقد كان يترك الشعر جانباً ويجاهد بنفسه وبندقيته ، وهذا هو الجهاد الصحيح الشريف .

ولد ابو الطيب ، عبد الرحيم محمود ، في قرية عنبتا ، على مقربة من مدينة نابلس وقد ظل طوال عمره وفياً للبيئة القروية الطيبة التي خرج منها ، وقد عرفه الناس شابا ريان العود ، رضي الخلق ، دافقا بالحيوية وفورة الروح ، وبالعزة والطموح . وكان في نفسه ميل غريزي الى الادب والشعر ، فعالجهما واشتغل في تدريسهما مدة غير قصيرة في العراق وفي كلية النجاح في نابلس وقد اتصل بالشاعر ابرهيم طوقان الذي كان في فترة ما لسانا من السنة الوطنية العالية الصوت في جهاد فلسطين ، وتمكنت بين الاثنين اواصر الود ، وكان لهذه الصلة اثرها في نفس عبد الرحيم ، وربما في توجيه شاعريته الى حد ما الى الناحية الوطنية.

وكان عبد الرحيم ابي النفس . عالي الهمة ، فنفث في شعره الوانا من ابائه وعزته ليعلم امته طريق الحرية والمجد . ولقد كان منذ فجر شبابه ، كلما دعت مناسبة وطنية – وما اكثر ما كانت تدعو هذه المناسبة في بلد الجهاد الطويل – يهب عن مقاعد المدرسة ليشترك فيها . فلما اشتعلت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ حمل بندقيته وخرج الى الجبال يساهم في معركة الكرامة والحرية . وبعد الثورة التجأ الى العراق وظل هناك حتى نشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني فاشترك فيها ايضاً . ولما قمعت هذه الثورة عاد الى فلسطين يشتغل بالتدريس من جديد ، ويساهم بشعره في اعداد امته لانتفاضات جديدة في سبيل الحرية ، حتى كانت حرب فلسطين الاخيرة ، فالتحق بجيش الانقاذ ، وظل يخوض المعارك بثبات وايمان ، الى ان كانت معركة الشجرة ، بين الهدنتين فاصيب في المعركة ، فحمله رفاقه في سيارة ليعودوا به الى الناصرة للمعالجة ، ولكن ارادة الله شاءت ان تطوي الستار على حياة مجاهد وفي امين ، فانقلبت به السيارة وذهب الى لقاء ربه شهيداً مبرورا ، روى بدمه تربة الوطن الغالي ، وجاد بروحه ليفتدي ثراه المقدس . ولقد خلف وراءه زوجة وابناء هم في اشد الحاجة الى من يعولهم ويقودهم بحنان الى الامام في طريق الحياة الوعر .

لقد استشهد عبد الرحيم وما يزال انضر ما يكون شبابا ، واوفر ما يكون صحة ، والطف ما يكون روحاً ومعشرا .

واما شعره فقد كان مرآة صافية لروحه المتوثبة الطموح ، وصورة صادقة لشعوره الوطني وجهاده الذي لم ينقطع حتى الموت . وقصيدته « الشهيد » التي نظمها في اثناء ثورة فلسطين الكبرى من ابرز الامثلة على روح الجهاد الوطني الشريف ، وفيما يلي ابيات منها :

سأحمل روحي على راحتي	والقي بها في مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق	واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان :	ورود المنايا ، ونيل المنى
وما العيش ؟ لا عشت ان لم اكن	مخوف الجناب ، حرام الحمى
لعمرك إني ارى مصرعي	ولكن اغذ اليه الخطى
ارى مقتلي دون حقي السليب	ودون بلادي هو المبتغى
يلذ لاذني سماع الصليل	ويبهج نفسي مسيل الدما
فكيف اصطباري لكيد الحسود	وكيف احتمالي لسوم الاذى ؟
اخوفا ، وعندي تهون الحياة؟	وذلا ، واني لرب الابا ؟
بقلبي سأرمي وجوه العداة	وقلبي حديد ، وناري لظى

ويمثل هذا الاسلوب المتدفق الرشيق الفائر يصف الشاعر جهاد قومه واباءهم في قصيدة اخرى بعنوان « الشعب الباسل » نشرها في مجلة « الرسالة » المصرية عام ١٩٣٦ ، وكانت اذ ذاك

صورة صحيحة لذلك الشعب المجاهد الباسل وان لم تعد تصدق عليه في الجهاد الاكبر الاخير :

شعب تمرس في الصعاب، فلم تنل منه الصعاب
لو همه انتاب الهضاب ، لدكدكت منه الهضاب
متمرد ، لم يرض يوما ان يقر على عذاب
حييت من شعب تخلد ، ليس يعروه ذهاب
عرف الطريق لحقه، ومشى له الجدد الصواب
الحق ليس براجع لذويه الا بالحراب
والنار تضمن والحديد لمن تساءل ان يجاب
حكمهما في ما تريد ففيهما فصل الخطاب

فلما هرب الى العراق بعد الثورة ، عاوده الحنين الى بيته ووطنه المهجور ، فنظم قصيدة بعنوان « الحنين الى الوطن » قال فيها :

تلك اوطاني وهذا رسمها ... في سويداء فؤادي محتفر
تتراءى لي على بهجتها ... حيثما قلبت في الكون النظر
في ضياء الشمس، في نور القمر ... في النسيم العذب، في ثغر الزهر
في خرير الجدول الصافي وفي ... صخب النهر وامواج البحر
في هتون الدمع من هول النوى ... في لهيب الشوق في قلبي استعر
يا بلادي ، يا منى قلبي ، إن ... تسلمي لي انت فالدنيا هدر
لا ارى الجنة ان ادخلتها ... وهي خلو منك الا الكوثر
منيتي في غربتي قبل النوى ... ان يملى من مجاليك النظر
فيصلي القلب في كعبته ... وتضم الروح قدسي الحجر

ذلك هو عبد الرحيم الشاعر المجاهد في شعره الوطني ، ولقد كان عبد الرحيم ايضاً انساني النزعة ، اشتراكي العقيدة ، ومعنى الاشتراكية ههنا ان يكون من الشعب وللشعب ، وان يحس بما يحس به الشعب من الم وامل ، فيحاول ان يمسح دمعة من عين باكية ، ويزيل هماً عن قلب شاك ، ويشارك في مصائب المتألمين والمحرومين ه لقد كان يشجيه ويثير شاعريته ان يرى حمالا يموت فلا يتأثر احد لموته الذي قد تم في وسط الشارع العام ، ولا يجزع احد على اسرته التي اصبحت بلا عائل ، وعلى اطفاله الذين ينتظرون كالعادة اوبة والدهم اليهم في المساء متأبطاً الارغفة الرخيصة المعتادة ، وما له من اوبة اليهم بعد ، وقد قيل لي ان الشاعر قد رأى هذا المشهد فعلا في حيفا ، فصور حزنه وثورة روحه في مرثية رائعة فقال :

قد عشت في الناس غريبا وها ... قد مت بين الناس موت الغريب
والناس مذ كانوا ذوو قسوة ... وليس للمضعوف فيهم نصيب
لو كنت في حبلك شناقهم ... لولولوا حزنا، وشقوا الجيوب
او كنت من سلك رزاقهم ... لقام عند الـ الفا خطيب
حكنك الحمال لم يطمعوا ... فيك ولم يخشوا اذاك الرهيب
رغيفك الطاهر غمسته ... في عرق زاك ودمع صبيب
ما كنت سلابا اخا غضبة ... بل كنت ذا حق سليب غصيب
فرحت لم يسكب عليك امرؤ ... دمعا ، ولا قلب رقيق يلوب
ولم يودعك حبيب ، وقد ... يهون الصعب وداع الحبيب
يا موقظ النقمة في اضلعي ... بشمت في عيني الجمال العجيب
لثوبك الرث وإخلاقه ... كرهت أثواب الحرير القشيب
زهدتني بالعيش في معشر ... عار من الرحمة ، خاو جديب

ومن شعره الانساني قوله في قصيدة بعنوان « العيد » يريد فيها ان تكون اعياد الانسانية كاملة لا ينغصها نفور ولا عبودية ولا عداء :

اذا رق احساسنا في الوجود ... وامحت نفوس لنا شاعره
اذا ما صهرنا قيود العبيد ... بنار من القوة القاهره
اذا ما تممنا بلقيا المنى ... وقرت رغاب لنا حائره
اذا كان هذا فثمت عيد ... وتلك مظاهره الساحره
وثمت يحسن وجه الحياة ... فتصبح فتانة ناضره

وقصيدته « حجر في كثبان الرمل » مليئة بالمعاني الاجتماعية والانسانية العميقة ، ومن معانيها الاجتماعية قوله يخاطب الحجر :

هل كنت قط من القصور ، وعفت خافية القصور
وأبيت ان تبنى عليك صروح بهتان وزور ؟
فنجوت للصحراء من صخب المزاهر والزمور
ام كنت شاهد مصرع الاخلاق في البيت الكبير
فهربت ؟ ؟ انك في الجماد اذن لذو اسمى شعور

ومن معانيها الانسانية التي فيها دفاع عن المظلومين في الحياة، واحقاق للعدالة ، قوله :

هل كنت قط مجنة من كيد باغ ظالم
فحميت هامة مبتلى ، وفلقت هامة غاشم ؟
هل كنت حدا فوقه تكبو مطايا القاحم ؟
وعلى المهامه صوة ، تهدي ضلال الهائم ؟
ان كنت ذاك، بززت في الاحسان خلفة آدم

وقد ختم هذه القصيدة على معنى من معاني الاباء والطموح والعظمة النفسية التي كان يتحلى بها ، فقال :

انت الوحيد هنا ، ومالي لا اقول انا الوحيد ؟
توهان لا ادري الغداة طريق منجاتي ، شريد
واذا قعدت كما قعدت اضر بالروح القعود
والروح يا بعض الجماد عنى ، ويحملها يؤود
تأبى الجمود ، جبالة منها ، ويأباها الجمود
قل لي ـ اذلك مسلك جدد ومطرق سديد

تلك بعض انسانية ابي الطيب في شعره ، واما عن اخلاقه الشخصية كما عرفها اصدقاؤه ومعارفه ، فقد كان لطيف المعشر رحب الصدر ، كثير المرح . وأذكر ان مجلساً ادبياً قد ضمه مع

فاجعة العبقرية

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي



ان العبقري* او البطل المغوار هو تلك الشخصية التي لا تفتر عن السير في سبر غور الحقيقة مهما كلفها الامر، ومهما لاقت من الصعوبات من جراء ذلك، لان حياة الطلاء، حياة كاذبة لا يطمئن اليها القلب، ولا ترتاح لها النفس، بل تكون في اضطراب وثورة داخلية عظيمة ولا يخلو فرد على وجه الارض من هذا الكفاح الباطني، لان حياة الطلاء، حياة جذابة خداعة ترضي النفس السطحية المخدوعة بالعرض الزائل، الجاهلة قدر الجوهر الثابت، فتطأ القيم الحقيقية العميقة، وتتخدر بالمظاهر الجذابة المغرية. فالبطل ليس ذلك الذي يقطع الطرق ويزهق الارواح البريئة، بل ذلك الذي عرف الجهاد النفسي وعرف ميول النفس ورغائبها المتعددة، فقاوم معها بذور الشر من نفسه وسار على طريق الفضيلة حسب قناعة ضميره الحر:

« ليس من يقطع طرقا بطلا انما من يتق الله البطل »

وفي الواقع ان في الرجل الصالح من بذور الشر بقدر ما في الشرير، ولكن الصالح عرف استئصال تلك البذور وازالتها من نفسه، في الوقت الذي تركها تنمو وتتفرع حتى استملكه سلطانها فوقع صريعاً امامها، لذلك فالكفاح النفسي الباطني هو صفة ملازمة للبطل لا تنفك عنه الى ان يخمد آخر نفس من حياته.

من منا نحن معشر البشر الضعيفين لا تؤثر في نفسه حياة الطلاء؟ المال والبنون والجاه والسلطان! وكم اريقت دماء في العالم من اجل حب السيادة؟ وما حب السيادة في الحقيقة الا طلاء كاذب يكاد يكون هو والطمأنينة النفسية على طرفي نقيض. نحن نخدع الناس للتوصل الى مأرب دنيء، وفي الحقيقة من نخدع؟ لا نخدع الا انفسنا التي بين جنبينا «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون».

آلاف السنين والبشر يجدون في حل لغز هذه الحياة، وهم في الحقيقة امام الاسرار الكونية العميقة كطفل صغير لا يفقه شيئاً، ومع ذلك فاذا ابتعدنا عن خداع النفس تجلت امامنا اسرار الكون وشعرنا بعمق الحياة وان لم نستطع ان نعبر عنها. فهذه هي في الحقيقة السعادة والثمرة من جهودنا في هذه الارض المملوءة ظلماً وعدوانا.

اختلفت الطرق وتشعبت المناهج واصبح من يريد ان يسعى وراء الحقيقة المجردة في سكون الليل وبين وحدته مستمداً ذلك من اعماق نفسه في حيرة وبلبلة عظيمة، فاحتار السالك في هذه الشعاب المختلفة اي طريق يسلك. ولكن مهما اختلفت الطرق وتشعبت المسالك لا يستغني من يريد الوصول الى الحقيقة: الى عشيقة الانبياء، والحكماء، والفلاسفة والعلماء الصادقين، ان يرجع الى نفسه ويسألها دون ان يخدعها بشيء، في كل خطوة يخطوها في حياته. ولقد سئل احد الفلاسفة ماذا تفضل؟ هل تفضل البحث

* حديث اذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

جماعة من الادباء في « مقهى البيكاديللي » في القدس، وكان فيهم احد الشعراء الشبان، وبين الاثنين خلاف ادبي ولم يكن الآخر يعرفه شخصياً، فقال عنه في اثناء الحديث انه « حمار.. لا يفهم » فما كان من عبد الرحيم الا ان قام من مكانه ومد يده لمصافحة الشاتم وهو يضحك ويقول « انا عبد الرحيم، او الحمار على حد تعبيرك »..

اما من حيث الشاعرية فقد كان عبد الرحيم من اصفى شعراء فلسطين شعرا، والطفهم اسلوبا، واوقعهم عبارة. كان في غزله رقة، ولطف وصفاء، وفي غير الغزل كان شاعراً واقعيا يغترف من الحياة ليقدم زادا حقيقيا لابناء امته الجائعين الى زاد المعرفة والحرية، والكرامة والاباء. لقد كان رسولا الى امته، وكذلك يكون الاديب والشاعر الحق.

وبعد فلعل في هذا اليسير جداً من شعر عبد الرحيم مايشير باصبع ثابتة الى شاعرية بلغت اجمل النضج، واجمل القوة، واجمل الروعة.

عمان — عيسى الناعوري

عن الحقيقة ام الوصول؟ فاجاب اني افضل البحث عنها من ايجادها فالحقيقة هي سر من اسرار الله وضعها سبحانه في قلوب البشر وثبت خطوات المقربين في المسير اليها. فالطرقات مهما اختلفت والمسالك مهما تشعبت فانما هناك هدف واحد، الا وهو التقرب من تلك المعشوقة التي لا يستغني امرؤ صادق النية ان يتطلع الى محاسن وجهها. فهي المثل الاعلى الحقيقي لكل من يريد ان يفتش عن الجوهر الثابت في هذه الحياة الدنيا :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

لولا حب البحث عن الحقيقة لبقيت البشرية جامدة لا حراك فيها ، ولما وجدت عباقرة اتتنا بافكار قيمة جديدة واكتشافات واختراعات حديثة، اعطت الغذاء المادي والروحي لافراد قلائل من ابناء هذه المعمورة الواقفين بارجلهم على الارض والمتطلعين ببصائرهم الى السماء ، الى الملأ الاعلى .

الجذر عميق في الروح البشرية التي تصبو نحو العلو ، وويل ثم ويل لمن قلع الجذر . لانه مهما طالت حياة ذلك النبات الذي لا جذر له فانه عقيم لا يزهر ولا يدع ثمراً يأتي ببذرة فيها سر الخلود .

كأني بك ايها الانسان وقد اشتد شوقك لمعرفة الطريق المؤدي الى العبقرية . ليس الطريق صعب المعرفة ولكنه شاق السلوك ، لان القدم تنزلق فيه ، فيهوي الانسان في وهدة عميقة وفي حضيض سحيق .

في العبقرية شواذ كما في الجنون ، وقد اشتبه الامر على بعض المنقبين في الحياة البشرية تشابهاً بينهما . نعم ، اعتاد البشر السير كالسوائم في طريق اختطه لهم اسلافهم ، ومتى اصبح الطريق معبداً صار من الصعب جداً الشذوذ عنه ، ومن يفعل ذلك يتهم بالجنون. ولكن الزمن يبرهن لنا ، هل ذلك الشاذ عبقري ام مجنون لمخالفته الرأي العام !

ويل للعبقري من ابناء جلدته ، فهو يضمر لهم كل خير في هذه الدنيا وبعدها، وهم يتربصون به الدوائر ويكيدون له كيداً ليقضوا على شخصيته ويميتوا روحه قبل اماتة جسده. واذا نقص الغذاء الروحي للنفس حكم عليها بالانتحار التدريجي .

العبقري غريب في وطنه وحيد طريد شريد بين اهله وخلانه لا يفهمون لغته وهو لا يفهم لغتهم ، فيقوم ويقعد بين اقاربه وذوي رحمه ، وهو قريب اليهم جسماً ولكنه بعيد عنهم روحاً بعد الارض عن السماء. وما اصعب الحياة بين قوم لا يتفاهم معهم ذلك الذي يعيش بين ظهرانيهم. هو بحاجة عظيمة الى غذاء روحي وهم لا يقيمون لذلك وزناً. هو بحاجة عظيمة الى سلوك طريق الحقيقة وقول الحق ولو على نفسه وهم يريدون التمويه وتشويه وجه الحقيقة الناصع. هو لا يبالي باظهار مواقع الضعف في نفسه ، وهم لا ينفكون يتخذون ذلك وسيلة لطعنه في الصميم والتربص به الدوائر والضرب من الخلف كالجبناء ، لان الباطل لا يقدر على مجابهة الحق وجهاً لوجه. احبوا الظهور الكاذب فهزئوا من محبي الحقيقة المجردة عن كل طلاء .

هناك عبقريان ، عبقري اوتي من القوة الباطنية ما تمكن به من الظفر على الباطل ودحضه، وعبقري ضعيف لم يتمكن من الثبات في مكانه ، فاما انكر عبقريته واصبح انساناً عادياً واما كافح فغلب على امره فوقع صريعاً في ميدان الوغى . وقديماً رمز المتنبي الى ذلك بشعره :

وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

انا لا ابكي ذلك الذي وقع صريعاً في ميدان الوغى، ولكني آسف على ذلك الضعيف الذي انكر شخصيته امام القوة الغاشمة وفي الواقع فان اكثر الناس هم اهل تمثيل في ادوارهم يظهرون ما ليس في نفوسهم ، فيستمدون ايمانهم من اعجاب الناس بهم ومن مدحهم وتصفيقهم . اما العبقري فهو لا يعبأ بمدح الناس او ذمهم، لانه يحاسب نفسه حساباً عسيراً، فهو اعلم الناس بمواقع ضعفه ، وكأن لسان حاله يقول :

ان رضيتم عني فزدتم ثنائي فانا لست قط عني رضيا

ها هي فاجعة العبقرية ، فالآلام لا تنفك عنه ، حتى يغمض عينيه من هذه الحياة للراحة الابدية. خلق الانسان ليعيش مجتمعاً وهو يعيش وحده لان قلبه الكبير لا يطمئن لاولئك الذين يتخذون مظهر الحياة هدفاً اسمى .

العباقرة قليلون على وجه الارض . هم نور هذه الارض وملحها، وبوجودهم يصبح لارضنا قيمة. وقبيح بنا ان لا نجلهم ونحترمهم وان طال بنا العهد وبعدت المسافة ، وليس القصد من تكريمهم الغلو في تقديسهم وتأليههم ، لاننا بعملنا هذا نكون قد اسأنا اليهم من حيث نظن اننا نريد ان نحسن اليهم ، اذ هم ابعد الناس عن تمويه الواقع وتزوير الحقيقة .

العبقرية في اتباع طريق الحقيقة مع الابتعاد عن اي طلاء كاذب الحقيقة وما ادراك ما الحقيقة : كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ، وكم استشهد في سبيلها اعظم العظماء .

حلب — محمد يحيى الهاشمي

اسطورة قوقاسية

بقلم نجاتي صدقي

طلع الصبح ، وانتشر الضياء ، وظهرت في الأفق البعيد سلسلة جبال تعلو قممها الثلوج ، وفي طليعتها جبلا البروس وكازبك ، يخالها المرء مجموعة بعيدة من السحب القاتمة ، وكان حليم يجلس الى جانب النيران يستدفيء ، ويغني بصوت خافت اغنية حزينة ، ختمها بالبكاء .

فاقتربت منه وقلت : ما الذي تغنيه يا صاح ؟ ..

قال : اغني اغنية الجبال . قلت : اهي اغنية حزينة ؟

قال : حزينة جداً ، ومن يدري اذا كانت قصتها واقعية ام هي من نسج الخيال .

وراح حليم يروي لي قصة اغنيته . وهي ترجع الى الماضي البعيد ، الى الايام المنسية ، وقت ان كانت قمم جبال القوقاس حجرية عارية ، خالية من الثلوج والجليد .

قال : كان الناس الذين عاشوا في سفح الجبل قد اغضبوا الله بمعاصيهم وشرورهم ، فامر الشمس ابان غضبه العظيم ان تقضي عليهم ، فتوقفت الشمس عن دورانها في كبد السماء ، ولم يكن مساء او ليل او نهار ، وهدأت الرياح ، وفسدت المياه ، وجفت الجداول والآبار .. وما فتئت الشمس تسطع في السماء ، وكانت الارض تتشقق بفعل اشعتها المحرقة ، وكان كل شيء حي ييبس ويفنى .

وارتفع صوت الله قائلا : سافنيكم بالنيران والاعاصير .. ولن ابقي منكم سوى ثلاثة من الشبان هم : سليم ، وشاهان ، وعليك . وامر الله هؤلاء الشبان الثلاثة ان يصعدوا الى الجبل ويستمعوا الى مشيئته .

ولما لبى سليم وشاهان وعليك نداء الله ، وصعدوا الجبل ، اخذ الشعب الجائع يقول لهم : قفوا واهلكوا معنا كما تقتضي الصداقة التي طالما حدثتمونا عنها في اغانيكم .

وكان هؤلاء الشبان الثلاثة من اجمل القوقاسيين واطيبهم عرقا ، وانقاهم سريرة ، وكانوا يغنون اغاني لا يعرفها احد في ايامنا هذه ، بل ويعجز عن غنائها .

وذرف الشبان الثلاثة الدموع الغزيرة وهم يفارقون شعبهم ، وكان الناس يصبون عليهم اللعنات لما اقدموا عليه من خيانة ، ويقذفونهم بالحجارة ثم يرمون في اثرهم السهام ، غير ان الله شمل من اصطفاهم بلطفه وعنايته ، فصعدوا الجبل ولم يكن بوسع احد غيرهم ان يصعده ، وكل من حاول صعوده هوى للتو لا حراك به . وانعقدت سحب من الغبار في الجو ، ووقفت الشمس في وسط السماء ، ككرة تقطر دما .. وتدثرت سلسلة الجبال بظلام حالك ، فكانت بمثابة ستار للشبان الثلاثة يقيهم اذى السهام والحجارة .

واذ بلغ سليم وشاهان وعليك قمة الجبل العاري سمعوا الله يقول لهم : لقد شئت ان انقذكم ثلاثتكم .. فاذهبوا الى تلك الناحية من الجبل واركنوا اليها .. وساصب من هذه البقعة الرعود والبروق على شعبكم الكافر بالنعم وساسحقه سحقا .

الا ان الشبان الثلاثة خروا على الارض راكعين وقالوا : صب علينا ثلاثتنا جام غضبك يا رب ، وارحم شعبنا .. نتوسل اليك ايها الخالق العظيم ان تعد لهم المياه التي بدونها سيهلكون لا محالة .

واخذ الشبان الثلاثة يلتمسون من الله ان يقبلهم ضحية ، ويقولون : وعندما يدرك الناس باننا هلكنا من اجلهم ، ولم نخن الامانة والصداقة التي كنا نغنيها لهم ، فيكفون عن لعننا ، بل يفتقدوننا ، ويصيرون من الاخيار الطيبين ، ويذكروننا في اغانيهم لاطفالهم ، وهؤلاء الاطفال يصبحون ايضا امناء ، طيبين ، بل يغدون افضل منا نحن الثلاثة

فاجابهم الله : ولكن لماذا اهلك الابرياء بدلا من الاشرار ؟

غير ان الشبان الثلاثة ظلوا راكعين ، واعادوا القول لله جل جلاله : صب جام غضبك على رؤوسنا يا رب ، وارحم شعبنا .. اذقنا الموت الزؤام ، واجر المياه في الوادي الى الابد .

فعبس الله .. وباشارة من لدنه هبت الرياح وثارت عاصفة باردة مريعة لم يسبق لها مثيل وتحركت الشمس واسرعت الى المغيب ، وانتشر الندى في الوادي بعد جفاف طويل .

وصرخ الشبان الثلاثة وهم في انتظار الموت الرهيب : حمداً لك ايها الاله العظيم .

واحس سليم فجأة ان دمه يبرد وقلبه يجمد وانه هو نفسه ينمو ويرتفع الى السماء اكثر فاكثر وان يديه تتحولان الى ضباب وان قدميه تصيران الى غيوم .. وان قلبه ينقلب الى كتلة من الجليد ، واستجمع سليم قواه وصرخ على العالم : الحمد



البسمات الثلاث

في المعبد المعتم تمطت ثلاثة ظلال ثم ارتعشت :

ظل اسطوري الروعة ، تتفجر منه انوار نفاذة تخترق الجدار الصخري فتحيله في طرفة عين الى مرآة نقية تعكس الأعماق وتزحلق الأغوار الى السطح .

وظل شاحب عميق ، عميق يتحدى الشمس فتنزلق أشعتها دونه ، ويبقى هو ابداً رافع الرأس معتداً بليله الخفي الغامض .

وظل خلفي يجمع الألوان البراقة الخارجية كلما تجرأت على ظلمة المعبد الحالك ، فيمكس ألطفها على رفيقيه ويطرد البقية بعيداً .

***

لا تدري الظلال الثلاثة لماذا وكيف دخل ذلك الظل الغريب ذو الابتسامة الملائكية معبدها الصامت الكئيب . ولكن الظل الشاحب المرفوع الرأس يجد نفسه بغتة يبتسم ! بسمة صافية جذلى غريبة على كآبة المعبد المهجور . وحين يتلفت حوله مذعوراً يبغي الاعتذار عن هفوته ، تجمد عيناه على وجه رفيقه الاسطوري ذي الأنوار النفاذة ، كانت نفس البسمة ترتسم عليه صافية جذلى غريبة ! وتسع البسمتان الى أن تنقلبا الى ضحكة مدوية تجلجل في أرجاء المعبد الصامت .

وفي لحظة واحدة تنبت ألوف الورود في البقعة المقدسة ، وتتساقط عليها قطرات الندى ، وتحوم الفراشات حولها ، وتنبع عيون الماء من مصادر خفية ، وتتدفق تحت اقدام الظلال هادرة .. متلألئة .. عذبة ، وتنحبس القهقهة في شفاه الظلين المبهوتين ولكنها تعود وتتحول الى بسمتين رقيقتين تتفجران حنواً وفهما ولطفا .

عند هذا تنبثق الأشعة من الجدران .. من كل مكان ، وتضحك الشمس في سمائها وهي تمد خيوطها الحريرية الى الظلين المسحورين فيتعلقان بها دونما روية او تردد ، وهكذا يودعان المعبد الى الأبد .

أما الظل الخلفي فقد ابتسم هو الآخر ولكنها كانت ابتسامة فلسفية ساخرة ممطوطة ولذلك جازته الخيوط الحريرية بخفة ، وتركته ينعم بظلمته الحالكة وليله الطويل .

بغداد — احسان الملائكة

لله العلي العظيم .. ومرت بالسماء سحب بيضاء فالتقطتها الرياح الباردة ومزقتها الى قطع قطنية صغيرة .. فانتشر الثلج على قمم سلسلة الجبال حيث لم يكن ابداً لا برد ولا ثلوج .

ولما سمع شاهان وعليبك صرخة رفيقها الأخيرة صاحا بابتهاج : الحمد لله العلي العظيم .

واحس شاهان للتو ان قلبه يتجمد ورأى كيف اخذ ينمو مثل سليم ويرتفع نحو السماء والضباب يندمج مع يديه والسحب تتجمع حول خصره والثلج يقطع عليه النفس فصرخ لآخر مرة : الحمد لله العلي العظيم .

واخيرا جاء دور عليبك فقد اكتنفه الضباب وتجمد وصرخ من اعالي السماء وهو ينثر الثلوج : الحمد لله العلي العظيم .

وعم السكون الى حين .. وفي الليل هبت عاصفة ثلجية فكست اعاليها بجليد خالد .. ثم زأرت الاعاصير بصورة مخيفة ظن الناس معها ان نهاية العالم قد حلت .

وعند الصباح سطعت في السماء شمس رفيقة فدفأت الثلوج وجرت من اعالي الجبال الجداول والانهر وهي تضج فرحة مسرورة وعادت الحياة الخالدة الى الوادي .

والآن .. كل من يصعد الى اعالي هذه الجبال يسمع وهو في وسط الثلوج والجليد وزئير الاعاصير اغاني هذه الجبال الطويلة ذات اللحن الواحد وهي تقول : « اتذكر ايها الانسان سليما وشاهان وعليبك .. واذا كنت تذكرهم فلماذا تنسى الخير والحقيقة ولا تحب الناس كما احبهم ثلاثة من الشبان ؟ » .

وترقد الثلوج على اعالي الجبال منذ الاف السنين وهي ترسل للناس المياه حتى لا يهلكوا عطشا فالناس اليوم سعداء ولا ينسون ابداً اولئك الشبان الثلاثة الذين تغني لهم الأعاصير في اعالي الجبال اغاني خالدة ذات لحن واحد .

وسكت حليم عن الكلام واشرقت الشمس بلباسها الوهاج . وانتشرت في الافق خيوط من النور تصفر وتتورد وتزداد سناء وبهاء ، وهي تترجرج في مهرجانها العظيم .

وما هي الا دقائق حتى بزغت الشمس ككرة حمراء ، تشتعل شيئاً فشيئاً وتنثر الذهب في السماء وعلى الارض .

وكانت الرياح التي تهب من الجبال تحمل في طياتها اغاني حزينة عن سليم وشاهان وعليبك اغاني عن اولئك الذين قضوا نحبهم في سبيل سعادة غيرهم .

نجاتي صدقي

غروب

✡

رصّع الاثم ناظريك فتوبي ... ليس غير الرماد تحت اللهيب
ليس غير الذكرى ترنق عينيك ... وتمتص ما يحوك شحوبي
كلما أصحرت كؤوسي منها ... ملأتها حتى الشفاه كروبي
وتملت عيني فيها ليال ... يتلاطمن في قرارة كوبي
ورفيف الرؤى ينش في الكأس ... كسرب من الحمام غريب
يتزلقن في سماء تعلاتي ... مدى مرتماك خلف الذنوب

***

اي شيء كنا نتمتم في الصمت ... فينسل كالصدى المستريب
والليالي يشدو بهن الندامى ... آن يحدو الدجى شراع الغروب
والمجاديف ثم اصداء نجوى ... يترقرقن في المسيل الرتيب
واغاني الملاح في غرق الليل ... تمن الى لقاء قريب
لانتجاع المجهول عبر ليال ... يتألقن في جفون الغريب
وظلال الغيوم تمسح في الافق ... دنى تلتظي بشمس الغروب

***

كنت امنية بأزميل حلم ... سكبته أصابعي من طيوب
وتلألأت في جفوني دموعا ... يتأفقن كالنجوم دروبي
وتراءيت في مدى لفتاتي ... زهرات تألقت بسهوبي
ومضى العام ـ كم تمنيت الا ... ينتهي ـ وانتهى اليك مغيبي
وتواريت مثلما تتوارى ... نجمة الفجر في الفضاء الرحيب
الضباب الوردي حول سراها ... نم في الافق عن مكان اللهيب

بغداد ... **صفاء الحيدري**

النزعة الوجودية

بقلم عواد مجيد الاعظمي
ليسانسيه شرف بالعلوم الاجتماعية

☆

ينبثق اليوم – من صميم الفكر الفرنسي – تيار فكري عنيف، يحاول البروز، والظهور، وتأكيد وجوده، وسط خضم من الافكار، والنزعات الأدبية والفلسفية – ذلك هو تيار « الوجودية السارترية » . وقد حمل الكتاب اقلامهم، من مختلف اقطار العالم، فمن مؤيد مناصر لها، وداع الى اعتناقها، ومن ناقد ساخر من مبادئها وآرائها، ومن مكيل لها شتى التهم من الاباحية، والتفسخ الاخلاقي.

وفي موضوعي – هذا – لم اهدف الى التشكيل برواد النزعة الوجودية، او واضعي اسسها، انما كنزعة فكرية، تحتمل الجدل، والمناقشة، لا على اساس المغالطة المنطقية، او الحشو الكلامي الفارغ، انما على اساس الحقائق العلمية، والعملية التي توصل اليها البحث العلمي في العصور التاريخية الحديثة.

والوجودية – مأخوذة من كلمة – وجود Exists – والمذهب الوجودي Existentialism – هو غير مذهب الوجودية Realism الذي ظهر في العصر الوسيط – لقوله بوجود واقعي للماهيات المجردة ... وتعني الوجودية – أن الانسان محور تفكير الانسان، وان منهج هذا التفكير – النظر في الانسان، على ما يوجد لا تحليل ماهيته المجردة .

وتمتد جذور النزعة الوجودية، الى القرن التاسع عشر، هذا القرن الذي يعتبر حجر الزاوية الاساسي للقرن العشرين في مختلف النزعات الادبية والفلسفية.. فمن الفلاسفة الايطاليين، الذين دعوا بالوجوديين اشهرهم « روسمين » ١٧٩٧–١٨٥٥، ويذهب هذا الى ان معنى الوجودية، التي هي الكلية، واللانهاية، والضرورة والعدم.. ومن الوجوديين في القرن التاسع عشر ايضاً « موريس بلونديل » ١٨٦١، و« جبرييل مرسيل » ١٨٦٩، وكلهم يؤمنون بالعقل، وبموضوعية المعرفة، ويفسرون الانسان طبقاً للمبادئ العقلية. ومن ابرز من اشتهر بالوجودية « سورن كيركجارد » الدانماركي ١٨١٣ – ١٨٥٥. وينظر الى الانسان « او في نفسه هو » على اساس ان المطلوب مذهب يستولي على الانسان في « إتيه » فوجد ان النظر العقلي لا يسفر الا عن مفارقات، وأن الانسان أناني، ومن المحتوم ان يقع في اليأس، وان الاخلاق، والفن قاصران عن الوفاء بالغرض، لانهما ينصان على قواعد عامة لا تمس النفس، وان المسيحية وحدها تضع علاقة شخصية بين « الفرد والله » فيجب اعتناقها من صميم النفس مهما تبدو معارضة للعقل [في عرفه] وللعالم والزمان ...

اما الوجودية الحديثة – التي نادى بها – « جان بول سارتر » الاديب الفرنسي. فتشتق منابعها من ثلاثة مصادر فكرية كان لها – ولا يزال – اعمق الاثر في الفكر الاوربي – اما المصدر الاول فيتمثل بالاتجاه الفاشي عند « هيدجر » الفيلسوف الالماني، حتى اعتبر بعض النقاد – وجودية سارتر – فاشية في تجاهها ... اما المصدر الثاني، فيظهر بالاتجاه الاشتراكي لفلسفة « كارل ماركس » العملية – خاصة وان الماركسية جعلت الانسان بعمله، وهو نفس شعار سارتر للانسان – بأن يعمل، وبعمله يصنع نفسه .. ولا يكون سوى ما صنعه من نفسه .. اما المصدر الاخير – والثالث فينجلي في وجودية « كيركجارد » الدانماركي، وهي وجودية كما وضحناها مقترنة بالاعتقاد الديني، حتى تطرف البعض الى اعتبار وجودية كيركجارد الاساس الاول، والمنبع الاصيل لوجودية سارتر، فيما تهدف اليه الوجودية من فكرة الانية، والوقوع في اليأس واعتبار الاخلاق، والفن قاصران عن تحقيق الخلاص للانسان... بغض النظر عن الاختلافات التي حدثت بين الوجوديين التي ترتبت عليها بعض النتائج، فاعطت الصيغة النهائية لوجودية سارتر مما جعلها تتميز عن باقي النزعات الوجودية السابقة الذكر،

وهذا هو الذي حدا بي الى تحليل آراء سارتر، والتعليق عليها..
وعلى ضوء المنطق والمعرفة، والعلم، لعله، تتطبع في ذهن القارئ،
صورة واضحة عن هذه الفلسفة التي اخذ يشيع صيتها في عالم الفكر.

يعتقد «سارتر» ان الانسان موجود، بما يؤديه من عمل، وما يقوم به من حركة، وتحدث هذه بمحض إرادته الحرة، فالانسان حر بأن يختار العمل الذي يريده.. وعلى حد قوله: «إن الانسان يحمل طوال حياته وزر عمل واحد، ولا يحكم على الانسان الا عمله، ولو كان عملا واحداً منعزلا، اذ العمل يعرف الانسان.. والانسان انما هو عمله..» وفي قوله ايضاً: «الانسان لا شيء سوى مجموع اعماله... لا شيء سوى حياته» وقوله في الحرية: «ان الانسان محكوم عليه بان يكون حراً». وبهذا يسعى سارتر الى التوفيق بين الحرية، والعمل، على اساس ذاتي محض... دون الالتفات الى الحدود القانونية، والدولية، والاجتماعية، التي تجعل من حرية الانسان وعمله مقيدة الى حد ما بها فهل بامكان الانسان ان يخرج على حكم القانون، والدولة، والمجتمع ما دام حر الارادة، ثم ان يختار العمل الذي يريده «على حد اعتقاد سارتر» !!!

وقد يرد البعض على ذلك، بقولهم: «أن سارتر يعني بالحرية مراعاة الآخرين ايضاً»، فهذا لا يزيد من حل العقدة الاساسية التي بنى سارتر على ضوئها نزعته الفكرية. بان يرجع اصل الحرية والعمل، الى ذات الانسان نفسه دون ان يجعل من حرية الآخرين، وعلاقاتهم وعاداتهم، وقوانينهم، الاساس في تحديد حرية الفرد.. اذ من الحقيقة ان القوانين الوضعية، والعادات، والتقاليد، ونظم الحياة المختلفة التي تحدد حرية الفرد من الكون والوجود، ليست جميعها من انتاج فرد واحد. بل من انتاج المجموع المشترك، وهذا ما يفسر لنا كثيراً من الحوادث التاريخية التي سخط فيها المجتمع على الفرد، لكون هذا الاخير اختار عملا خارجاً على حدود مجتمعه.

ولا يقف سارتر عند هذا الحد، بل يعمل على تحميل الانسان مسؤولية اعماله، فالانسان في نظره، مسؤول عن كل عمل يقوم به، على اعتبار ان اعماله حادثة عن اختيار حر.. ومن هذا قوله: «الانسان مسؤول عن كل ما يعمل».. ولا يكتفي في هذا وحسب، بل نراه يحمل الانسان فوق مسؤولية اعماله مسؤولية الانسانية جمعاء.. اذ يقول: «ان الانسان ناقص.. وسيبقى كذلك حاملا في نفسه العناصر التي تكون عدم وجوده ولهذا فالانسان، يتحمل المسؤولية التي تترتب على الانسانية باجمعها». وبناء عليه: ففكرة المسؤولية عند «سارتر» تتضمن اتجاهين:

ففي الاتجاه الاول: - «الانسان مسؤول عن كل ما يعمل -» - وهي المسؤولية الذاتية - لم يقدر مسؤولية بعض الاعمال التي يقوم بها الانسان في الحالات الآتية - الاعمال اللاوعية، والاعمال اللاإرادية، والاعمال الاجبارية والاكراهية، والاعمال الصدفية، ففي جميع هذه الحالات نرى ان حدود المسؤولية، متباينة، ففي بعضها يكون الانسان مسؤولا مطلقاً عن اعماله حينما يكون عمله بمحض ارادته الحرة، وفي بعضها الاخر تخف المسؤولية عنه خاصة في حالات اللاادرية وحالات اللاوعي، وقد تنعدم المسؤولية في حالة الاعمال الاجبارية والاعمال الصدفية،

اذ كيف يمكن ان يتحمل الانسان مسؤولية عمل من الاعمال قام به وليد الصدفة المحضة ، او وليد الاجبار والاكراه ، فلا يمكن مثلا ان نحكم على انسان ما بالموت لكونه قتل شخصاً وهو على شجرة دون علمه بوجوده حيث كان يقصد صيد الطيور – وبهذا فرق قانون العقوبات بين القتل العمد – عن قصد – والقتل خطأ – عن غير قصد – فقد يخرج الشخص من هذه الحالة بريئاً غير مسؤول عن العمل الذي قام به – ذاتياً وقانونياً – الا اذا كان هناك حقاً عاماً !!

وفي مثال آخر .. كيف يمكن لسارتر ان يحمل مسؤولية عمل ما على إنسان اجبره رئيسه او حاكمه على ان يقوم بعمل ، قد يكون هذا العمل مخالفاً لذات الشخص والقانون والمجتمع .. فمن هو المسؤول يا ترى – الشخص الذي اجبر على تنفيذ العمل ام الحاكم الذي اكره انسانه على القيام به ?? والجواب بداهة – ! وفي هذا ايضاً تتلاشى المسؤولية الذاتية ، والى حد ما المسؤولية القانونية الا اذا اراد القانون ان يحمل الطرفين مسؤولية اعمالهم – وحتى في هذا يكون الحاكم الآمر – وهو غير قائم بالعمل – مسؤولا قانونياً .. اذن كيف يمكن ان نؤمن بفكرة سارتر ونسلم بها ، وننقاد في تيارها .. اللهم الا اذا تهنا ، كما تاه فنقول كما قال هو فعلا : « إن هذا الانسان المجبر قد اختار عدم الاختيار » !!

وقد يرد البعض ? ان في حالة القتل خطأ ان المسؤولية المرفوعة عن الشخص القاتل خطأ انما هي مسؤولية قانونية وليس بالمسؤولية الذاتية ... ولكننا نعلق على ذلك بقولنا هل بالامكان ، او المعقول ، فصل المسؤولية القانونية عن المسؤولية الذاتية .. فهذا ما لا يقره سارتر نفسه في الوقت الذي يجعل فيه اعمال الانسان تقريراً لاعمال الانسانية ، وهو في فكرته هذه محاولة اخرى للوقوع في مأزق صعب عليه الخروج منه ، تلك الفكرة التي سعى فيها الى ربط الانسانية بعجلة الانسان .. وعلى حد قوله : « وستكون الانسانية كما سيقرر الانسان ان تكون عليه .. » وفي قوله ايضاً : « وطبيعي ان هذا الانسان الذي يلتزم ويدرك انه ليس شخصاً يختار كونه فحسب ، بل هو في نفس الوقت مشرع يختار ما يجب ان تكون عليه الانسانية بأسرها .. » وبهذا يريد سارتر ان يشيد قصراً شامخاً فخماً على عمود واحد .

اما الاتجاه الثاني – في فكرة المسؤولية – وهي « ان الانسان يتحمل المسؤولية التي تترتب على الانسانية باجمعها – وهذه هي – المسؤولية الكلية – فنرد على ذلك – استناداً على ما بينا سابقاً – كيف ان الانسان في بعض الحالات لا يتحمل مسؤولية اعماله فكيف يا ترى يمكن ان نحمله مسؤولية الانسانية جمعاء !!! بل كيف يمكن ان نحمل « انساناً ناقصاً » مسؤولية انسانية كاملة !!

وفي ناحية اخرى نرى سارتر يترك مسؤولية وجود الانسان الكاملة تستقر على كاهله ومن هذا رأيه : « وهكذا فان الخطوة الاولى لوجودية سارتر هي ان تجعل من حوزة كل انسان ما يكون عليه ثم تترك مسؤولية وجوده الكاملة تستقر على كاهله » : فكيف يمكن التوفيق بين :

اولا : النمو المستمر للانسان ، وبين ترك مسؤولية وجوده الكاملة تستقر على كاهله ، اذ انه لم يصل بعد مسؤولية وجوده الكامل ما دام مستمر النمو .

وثانياً : بين « معرفة الانسان لنفسه قليلا قليلا » وبين ترك مسؤولية وجوده الكاملة تستقر على كاهله .

وثالثاً : كيف يمكن ان نحمل « انساناً ناقصاً » مسؤولية وجوده الكاملة ، وهو لم يصل بعد حد الكمال الوجودي .!! أليس من الاصح والاصوب ان يعدل سارتر رأيه بان يوزع المسؤولية على كاهلي الانسان والوجود ، والفرد والمجتمع ، ان هذا يقودنا الى مسألة علاقة الانسان بالعالم او المجتمع المحيط به ، ورأي سارتر في هذا صريح واضح ، فهو يرى ان الانسان يخلق صفاته وخصائصه ، او ماهيته ، يخلقها بنفسه ، حينما يقذف بنفسه في العالم .. وفي هذا قوله : « ليس الانسان سوى ما يصنع من نفسه » ، وكما يقول : « ان من الواجب على الانسان ان يخلق ماهيته الخاصة بنفسه ، فهو عندما يقذف بنفسه في العالم ويناضل ويتألم انما يعرف نفسه قليلا قليلا » . وهكذا بنى سارتر ، معرفة الانسان لنفسه ، وتكوينه لصفاته ، على اساس ذاتي محض .. ومع اننا نفهم ان الانسان يخلق ويكون لنفسه بعض الخصائص والماهيات ، لكن أليس للظروف أثرها القوي في خلق وتكوين شخصية الانسان وخصائصه وماهياته ?? هل ينكر « سارتر » بان الطفل في اول وجوده ، وخلال نموه يقتبس كثيراً من الخصائص من أبويه ومن في البيت ?? أليس في هذا أثر في تكوين شخصية الطفل وتوجيهه ?? لنرجع الى ما قرره علم النفس الحديث في هذه الاتجاهات الطويلة الكثيرة .. ولنرجع الى اعادة النظر في اقوال سارتر وآرائه ، فها هو نفسه يعترف صراحة بان تحديد قيم الاشياء لا يتوقف على الانسان وحده فحسب بل للمجتمع أثره في ذلك ، وفي هذا قوله : « ليس هناك شيء يمكن ان يكون

جيداً بالنسبة لنا من دون ان يكون جيداً بالنسبة للجميع » .

ومن كل هذا، وما مر بنا نرى «سارتر» يصل أوج التناقض في آرائه ونزعاته ولا عجب ان تأتي آراؤه متناقضة متعارضة، كشخص مثله بدأ حياته التاليفية قصصياً أديباً، ومن ثم دخل في عالم الفلسفة، ظناً منه أنه يقدم للفكر العالمي سفراً جديداً يطلب منه ان يسير على ضوئه !!! ناسياً ان العالم بحاجة الى فلسفة علمية عملية منسجمة تحقق له الطمأنينة والسعادة في الحياة ...

وإذا كان «سارتر» قد ابتعد عن التفسير العلمي للانسان، وعلاقته بالكون والوجود، نراه في الوقت نفسه يبتعد كل البعد عن تفسير ماضي الانسان، وحاضره، ومستقبله. فقد أجحد سارتر في ماضي الشخصية للانسان، واوجد له فكرة «الآنية» الحاضرة، وفي رأيه ان الانسان موجود بما هو عليه الآن، ويعمل في اللحظة التي هو فيها دون الاهتمام بما كان في الماضي، وما سيكون عليه في المستقبل. وبهذا خالف استاذه الوجودي «كيركجارد» الدانماركي الذي قال بصعوبة انتزاع ماضي الشخصية للانسان.

ولكن «سارتر» لم يقدر كثيراً من الحالات التي يصعب على الانسان فيها جحود ماضيه والابتعاد عنه، حتى في أشد ظروف حياته قسوة وشدة .. وهذه الحالات كما لا تخفى هي:

اولا: لقد اثبت مذهب التحليل النفسي في علم النفس الحديث ان هناك كثيراً من الحوادث، تصيب الانسان في حياته، فتؤثر عليه تاثيراً قوياً بدرجة أنها تبقى مكبوتة في عقله الباطن، او في اللاشعور، وقد تظهر هذه الحوادث المكبوتة بمظاهر عدة تؤثر على سلوك الانسان في الحياة .. ولا يسع المجال لضرب الأمثلة الكثيرة في هذا الصدد، والتي شفي افرادها بعد التحليل النفسي .. فهذا دليل واضح على تاثير الحوادث التي تصيب الانسان في ماضيه على حاضره ..

ثانياً : فكرة الندم .. واذا كان «سارتر» لا يعير الندم انتباهاً كبيراً في نزعته الوجودية، ولكن هذا لا يمنع من ان هذه الحالة تصيب كل انسان في حياته .. والانسان مهما حاول ان يبرر موقفه ازاء الحوادث والأعمال الاثيمة خاصة، والتي قام بها في ماضيه فانه ولا شك يشعر بندم نحوها مهما اختلفت درجات الندم قوة وضعفاً.

ثالثاً : فكرة التحول والانتقال، ونعني بها انتقال الانسان من حالة ماضيه الى حالة حاضره، اذ ان الحالة التي يصل اليها الانسان في اللحظة الحاضرة لا بد وان تكون مستمدة، وقائمة على حالة سبقتها .. فكما أنه لا يمكن خلق شيء من لا شيء، فكذلك لا يمكن ان يوجد هناك حاضر من دون ماض، وحالات التحول في التأريخ كثيرة نذكر منها تحول النبي ابراهيم من اعتقاد ديني سابق الى الاعتقاد بالله، وكيف ساقه اعتقاده القديم بالوهية الشمس والقمر، الى الاعتقاد بالوهية الواحد الخالق .. ثم لنلاحظ تحول « لوثر » من المسيحية الكاثوليكية الى المسيحية البروتستانتية، وكيف توصل لوثر الى البروتستانتية، اعتقاده الجديد، حينما وجه انتقاده الصريح لاعتقاده القديم في المسيحية الكاثوليكية.

رابعاً : الذكريات : ونقصد بها تلك الحوادث التي عصفت في حياة الانسان وسجلت في ذاكرته، حيث يصعب عليه ان ينساها مهما حاول الابتعاد عنها، وهي ولا شك تؤثر عليه في حياته الحاضرة تأثيراً مباشراً او غير مباشر .. وبعض هذه الذكريات لا تفارق الانسان طيلة حياته، تختفي في ساعة الموت تمر هذه الذكريات في ذهنه، فاما ان تزيد في حبه للحياة، فيتمنى البقاء والديمومة، وإما ان تزيد في آلامه، فيتمنى الموت والفناء .. ويمكننا ان نسجل هنا هذه الذكرى الخالدة التي صورها الكاتب الفرنسي « دى موباسان » في قصة « التضحية الخالدة » حيث يقول : « انها لذكرى خالدة تبدو امام عيني زاهية مزهوة قد لا تفارقني رغم ما تغمرني به الحياة من الخشونة والتزمت ».

وختاماً، هل يمكننا ان ننكر هذه الذكريات، وفكرة التحول، ونقوم ونتحدى مذهب التحليل النفسي، فنعيش في دياجير فكرية مظلمة، ونترك العالم الانساني يسير بعيداً عنا.

بغداد

عواد مجيد الاعظمي

المعلم عبد العزيز

بقلم الآنسة سميرة عزام

☆

قصة

عم هو يبحث ؟ آه عن قلم ، قلم من الرصاص او الكوبيا ، لا يهم فهو يريد ان يكتب ، ان يكتب! ان يقول شيئاً ، بل اشياء .. اشياء كثيرة ينوء بها ضميره ، وتزدحم في خاطره .

وتغوص اصابع عبد العزيز في جيبه البالي منقبة باحثة ، ولا تلبث ان تنفذ من خروق الجيب الكثيرة ، فيسحبها ويدفعها في جيب السترة ، فتصطدم بشيء لين .. ما هذا ؟ . انها سيجارة ، سيجارة قدمها اليه مفتش الشؤون الاجتماعية في وكالة الغوث ، حين زاره عبد العزيز في مكتبه الانيق ورفع اليه تقريره عن سير المدرسة التي يديرها في معسكر اللاجئين ، قدمها له فاخذها شاكراً ، وجذب منها نفسين « مشفقين » ثم عاد واخمد جذوتها قبل ان تحترق ، الى النصف ، وخبأها في جيبه ، فقد تفيد في ساعة من ساعات الحنق والعصبية .

ووضع السيجارة في فمه واستدار يبحث في جوانب الخيمة عن ثقاب ، ثقاب ، اين الثقاب يا بنت يا خديجة ، اين انت ، اين امك ؟ اين هذه الثرثارة التي لا تفتأ تلوك الكلام مع جاراتها امام الخيام وتتصيد اخبار الناس ، اريد ، اريد ثقابا !

وتطل عليه خديجة بوجهها الابيض وجديلتيها الخروبيتين فتفهم سر ثورته فتنتزع من الارض عوداً جافاً تشعل طرفه من نار موقدة امام احدى الخيام ، وتعود به اليه فيشعل السيجارة ، وتتركه يجذب انفاسها وتعود لتواصل اللعب مع اترابها فيناديها بعصبية ، ارجعي ، لا اريدك بعد اليوم ان تلعبي مع هؤلاء ، لقد كبرت ، اما من حياء يشدك عن الجري والقفز والنط ؟؟ ..

تعالي اكنسي المكان ، رشي الارض ، اعملي اي شيء ، اي شيء ، امعك قلم ؟ حسنا هاته ! اريد ان اكتب ، والان اخرجي من هنا ، اريد ان اخلو الى نفسي ، ثم عودي بعد ان افرغ .

فتنسل برشاقة وتتركه ليكتب ، او ليمزق ما كتب ويكتب من جديد ، يكتب بملء الحرية ، ليثبت شخصيته لهؤلاء الذين يسمون انفسهم عمدة « الكامب » او « هيئة المستورة » عمدة قوامها الشيخ مرزوق الذي لا يجد ما يفعله سوى مجاذبة النساء الرقيعات اطراف الحديث او التسكع حول خيمة الممرضة ، وسلمان ، سلمان الذي كان في قريته مزارعاً نشيطا ولد ويده مشدودة الى فأس ، انه الان لا يفعل شيئاً غير شم « السعوط » ودغدغة انفه بخرقة قذرة ! وهذا الثالث ابو عبود ، الذي زكوه للعضوية ليسكت عن ثورته ، فقد كان اول المصممين على العودة باي ثمن ، فله بقرات منتفخات البطن بالاجنة وله دجاجات راخمات على بيض كثير ، اما الان فقد همدت ثورته وسكن لسانه ، تماماً كعقب هذه السيجارة التي انطفأت نارها ، اذا انتهت الى النفس الاخير ، فهل له باخرى ؟ لا هذا بعيد ، الا اذا زار المفتش من جديد ، او غافل ام خديجة فخبأ من راتبه بضعة فرنكات ..

وتروح عيناه ترمقان رماد اللفافة بأسى ، ثم ينهض ويتفل على الارض ، على الحياة ، على كل شيء ، على ابي عبود الذي يراه من خيمته الان ، وقد توسط ساحة المعسكر مع نفر من الصبية راح يلاعبهم « بالبلي » .

ويرى خديجة تحوم ، وصويحباتها حول اللاهين ، فيناديها

وتأتي تجر رجلها جرا متمتمة ، لقد امرتني بالخروج ، قلت بانك تريد الكتابة ، آه صحيح . سأكتب ، هاتي ورقة ، ورقة كبيرة . واخذها ورقة كبيرة اذ سيقول الشيء الكثير ، وسيقهر الشيخ مرزوق وسلمان وابا عبود فلا ينصاع لتعليماتهم ، ولا يدبج لهم الخطاب الذي سيلقيه امام الزوار الاجانب بالشكل الذي اقترحوه .

لقد كان احمق حين سهر ليلة امس بطولها ، فقرأ كتاب « الانشاء العصري » من الدفة الى الدفة قبل ان يشرع في كتابة خطاب الترحيب ، الخطاب الذي فاتحته تأهيل وحفاوة وخاتمته شكر وحمد ، شكر « لاولاد الاوادم » الذين حركتهم مشاعرهم الانسانية ؟ فانبسطت اكفهم بالفاصوليا الجافة ، والدقيق الاسمر ، والزيت والدسم ؟ وركب عبد العزيز مركب البلاغة فقال إن القوم قد « اطعموا » العقول كما اطعموا البطون ، ففتحوا للاجئين مدرسة قوامها خيمة كبيرة حشروا فيها الصبيان والبنات ونصبوا عبد العزيز عليهم معلما ..

وشكر لهم فيما شكر ، ان « ستروا على الحريم » فجعلوا لكل اسرة خيمة مستقلة ، وهي وان كانت « غربالية النسيج » الا ان فيها نعمة الستر وهكذا دبج خطابه الطويل النفس ، الغني السجعات ، وما انتهى منه الا لانطفاء ذبالة المصباح الزيتي ، اذ فرغ منه الوقود !! ولكنه سيمزق الخطاب .. وسيكتب غيره على عكسه تماما ، واحداً جديداً له طعم التذمر ورائحة التمرد ، اذ تحالفت عليه في يومه المرير عوامل نفسانية عاصفة فتحت عينيه على نفاق الامس . استيقظ في الصباح مقروراً اصفر ، ونهض ليغتسل فلم تسعفه في البيت اعني — في الخيمة ! — صابونة ، وقام ليلتهم الطعام الذي اعدته ام خديجة فوجد كمية اصغر من ان تكفي طفلا صغيرا فكيف برجل يصرف بياض يومه واقفاً امام حشد من عفاريت الصبيان والبنات ، وانحنى يضرب احدهم فلم يحتمل نسيج بنطلونه الواهي هذه الانحناءة ، فتمزق واثار ضحك العفاريت ، حتى بنته « بنت الـ ..! » ضحكت هي الاخرى ولم يعجبه ان يراها تجلس بين الصبية ، ولم يشعر بانها كبرت ولم يعد من اللائق ان تزاملهم ، الا اليوم !! .

اجل اجل ، ان في صدره لضيقا شديداً وثورة سيتمخض عنها خطابه الجديد ، سيقف امام الزوار الاجانب ، والمفتش ، ويحدق في عيونهم الزرقاء ويقول كل شيء ، سيكفر بنعمة الدقيق والزيت العكر والفاصوليا الناشفة نشاف عجوز امتصت غضارتها عقول تسعة ، وسيزري بستر الخيام والملابس القديمة الواهية ، وسيجأر بالشكوى من خطة لا يخطئها الالباء ، وان غفل عنها الشيخ مرزوق ، معذور فهو ليس منهم !! وتصور عبد العزيز افندي نفسه يعتلي المنصة ، عن يمينه الاضياف وعن يساره حشد من اهل المعسكر ، وتخيل الاكف ترتفع في غمرة الحماس فتصفق الى ان تدمى ، والحناجر تصخب وتزأر وتتنادى : والمعسكر تدب فيه الحياة ، من جديد ، من جديد !!

اما جماعة الشيخ مرزوق ، فلا شك في انهم سيذهلون اولا ، ثم يسبقون القوم الى التصفيق ثانيا ..

ان يوم غد هو يومك يا معلم عبد العزيز ..

ويقوم عبد العزيز فينط على الكرسي الوحيد في الخيمة ويهيب بابنته القابعة في الزاوية ، ما بالك ساكتة كالاموات ، الا تصفقين ، الا تهتفين ، الا تتحركين ايتها البليدة ؟؟

في الغد . عندما اقبل الزائرون على المعسكر ، والتف القوم في حلقة حول عبد العزيز ، وغمز الشيخ مرزوق بعينيه لعبد العزيز « أن ابدأ ! » ارتجفت اطراف صاحبنا ، واثلجته قشعريرة ولكنه تحامل على نفسه فثبت قدمه على المنصة ، ووضع نظارته على عينيه الخابيتين ، وما ان راح يقرأ حتى تخلص من خجله ، ودفئت اطرافه فعلت طبقة صوته ، وخشنت نبراته ، ودق الارض بقدميه عشر مرات قبل ان يقول : والسلام عليكم .

ولكن ما بال القوم لا يصفقون ، بل وقفوا يسمعونه ببرود عجيب ، هل اعتراهم الصمم ، ام مات في نفوسهم الاحساس ؟؟ ولكن لا ، ما هذا ، غريب ، ويلك يا عبد العزيز . أيمتك ام خديجة !! لقد قرأت خطاب الترحيب الذي كتبته اولا وفاتك ان تنزعه من جيبك لتعمل فيه اصابع التمزيق !!

ليماسول - قبرص — سميرة عزام

الى جاحدة

•

مهداة الى أخي الشاعر احمد ابو سعد

☆

لفؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

•



كنتِ كالفجرِ نقيّه
ونديه
حينما نمتِ على قلبي عشيه
وطفا الذهل على خضرة عينيك وغامْ !

•

طفلة كنتِ كأحلامي بريئه
لم تذوقي بعد أثمار الخطيئه ...
... كنت كالورد طريئه
ويدي كانت جريئه ! ...
وسرت في جسمك الرعشة وانهد الظلامْ
فوق عينيك ونام ! ...
... واصاب الثغر ما تاق اليها واشتهاها
شامة في زندك الأيسر يا طيب شذاها
فتململتِ اشتهاء
وتراءى
لهب الشهوة في عينيك يمتص الدماءَ
وشربت الغيب من ذهل فمي
بالصغير الكرزي النهم
ظامئاً كالنار لا يعرف وعياً وارتواء !

•

كان هذا ... ومضيت ...
لم يعد يغريك طهري
لم يعد يرويك ثغري
لم تعد دنياك دنياي ولا خمرك خمري !
ونسيتِ ...
من سنا الأمس عشيّه
حينما كنت نديه
لم تذوقي بعد أثمار الخطيئه
ويدي كانت جريئه ...
وشدا الجدول !... وانهدّ الظلام
فوق عينيك ونامْ !

شخصيات دستويفسكية

الابـلـه

بقلم نهاد التكرلي

قال دستويفسكي* عن قصة [الابله] التي بدأ ينشرها في صحيفة « مراسل روسيا » منذ بداية شهر كانون الثاني [يناير] عام ١٨٦٨ انه لم يحصل له ابداً ان ملك موضوعاً يمثل هذا الغنى ، لكنه لم يستطع التعبير الا عن معشار فكرته هذه . وفي الواقع ان قصة الابله مع قصتيه « الشياطين » و « الاخوة كارامازوف » تعد من اعظم مـا كتب هذا القصصي الخالد :

يعود الامير موشكين ، وهو شاب مصـاب بالصرع ، من احدى المصحـات في سويسره حيث كان يعنى به لوجه الخير استاذ في الطب . وهو يتيم لا يملك من حطام الدنيا سوى حزمة هزيلة من الامتعة . انه لا يعرف شيئاً عن الوجود وعن الحياة وقد قال له الطبيب : « اني مقتنع تمام الاقتناع بانك طفل حقيقي . طفل بالمعنى المطلق لهذه الكلمة . حقاً ان لك شكل الشاب وملامحه ، لكنك من ناحية النفس والخلق ، بل حتى من ناحية العقل لم تبلغ مبلغ الرجال وستبقى هكذا حتى لو عشت ستين سنة » .

وهذا الطفل الذي يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً مؤدب من دون مجاملة ، خجول طيب القلب ، ساذج انه لم يحي الحياة او بالاحرى انه لم يعش حياته في افعال . لقد تقضت حيـاته في تأملات باطنية ، واستقر في حصنه الذاتي المنيع خارج الاسوار الاجتماعية . خارج « اثنين في اثنين يساوي اربعة » انه نقي من كل اتصال بالناس . ونحن نراه عندمـا يسقط بينهم ، في هذه المدينة الكبيرة الآهلة بالطامعين والماكرين والشهوانيين والمهرجين والسكيرين ، يبدو عليه مظهر الغريب الذي دخـل مدينة لا تربطه باهلها صلة . تكون زيارته الاولى ، عندما يصل سنت بطرسبرج ، الى الجنرال ايبانشين الذي تربطه بزوجته صلة قرابة غامضة ، والذي يأمـل في استشارته عن بعض الامور الشخصية .

لكن موشكين ما يكاد يخرج من عزلته وينزل الى عـالم الناس حتى يؤكد خرقه وعدم مهارته . فهو يتصـل بحديث طويل مع الخادم المكلف باستقبال الزائرين ، ويرتكب انواع الاغلاط بحضور سكرتير الجنرال . وهو بعد حين سيكسر اناء من الخزف الصيني عندما يتحمس في الافصاح عن بعض آرائه . ولا شك ان لهذه الآنية الصينية علامة رمزية . فهي عالم المادة الذي يصطدم به موشكين ويقلبه اثناء انجرافه في معتقداته .

ومع ذلك فكاسر الآنية الصينية الجذاب هذا . هذا المتحدث المخلص الأخرق ، لا يثير حفيظة الذين يتصلون به . فهذه البساطة الخالية من كل نية خفية يقدم بها على الناس ، تجرد خصومه من كل سلاح . حقاً انهم يضحكون منه وينظرون اليه باستخفاف غير انهم يسامحونه على مخالفة قواعد اللياقة كما يتسامح النـاس مع الغريب الذي يرتكب اخطاء لغوية . انهم يشعرون بانه « من مكان آخر » ومن السخف ان يطلبوا اليه مسلكا او طريقة في التعبير مجهولة في بلاده .

ومع ذلك فان « عابر الطريق » هذا ، هذا « المسافر » الذي يبدو لاول وهلة انه مجرد من كل معرفة ، غني في الحقيقة بعلم مخصوص . انه يملك معرفة لا يستطيع ادراكها ابداً اناس هذا العالم « المحاطون بالاسوار » . انه يملك عقلا رئيسياً . وقد قالت له ابنة الجنرال : « ان العقل الرئيسي مترق لديك اكثر من اي واحـد منهم . فانت تستحوذ عليه لدرجة لم تتراءَ لهم حتى في الحلم ، وهنالك كما تعلم نوعان من العقل : عقل رئيسي وعقل ثانوي . اليس كذلك ؟ » . وفي الواقع ان القصة كلهـا تنتهي الى هذه الفكرة وهي : اغارة العقل الرئيسي على نطاق العقل الثانوي .

وهذا العقل الرئيسي الخارج على قوانين السببية والتناقض ،

* راجعنا عند كتابة هذا المقال كتاب : « Dostoïevsky » للكاتب الفرنسي هنري تروايا وقصة « الابله » The Idiot by F. Dostveosky

هذا العقل الخارج على قواعد الاخلاق عقل رجل العالم السفلي وعقل الاحساس والشعور . هذا العقل سيخلق اضطرابات في المحيط الذي ينتقل اليه . فيكون وصول موشكين الى هذا الجو المحصور بمثابة تيار هوائي يفتح عليه . ان عبوره يستقبل في بادىء الامر بعاصفة من الضحك والاستهزاء فهو يبدو لجميع هؤلاء الذين يحيطون به مضحكاً معتوهاً قد كانت حتى امه تعامله فيما مضى معاملة الساذج الأبله . غير ان هذا الابله الذي يثير السخرية ما يلبث شيئاً فشيئاً ان يضع اشد المبادىء رسوخاً موضع التساؤل ، فترى ان ضعيف الفكر هذا يقلق الحكماء ويدفعهم الى التفكير العميق وهذا الدخيل يصبح ضرورياً لا غنى عنه . ثم نجد ان هذا الضعيف يسيطر على الاقوياء وهو يسيطر عليهم من دون ان يريد ذلك . انه مقتنع بان كل واحد من الذين حوله كريم سخي النفس وكل واحد يحبه . وهو عندما يعامل اشد الناس تفسخاً وخبثاً كمخلوقات مليئة بالوداعة والتقوى يكسب الاصدقاء ويكون له حلفاء . ان الناس يصبحون طيبين لانه يتمناهم هكذا ولانه يعتقد انهم هكذا . فهو في مركز مجال من القوى تنبعث منه انجذابات خفية ، فيعرف المتجبرون نعمة الوضاعة وتتفتح نفوس الانانيين الى التوبة ويحظى المحزونون بسلامة نية الطفولة من جديد . ان العار والحقد يتلاشيان فترة من الوقت لمرآه وتكتسب حياة كل فرد معنى لم يعد ارضياً . فهو في نظر كل شخص دليل على وجود آخر وعلى عالم ممكن غير هذا العالم . وهو يطبع الذين يرونه ويصغون اليه بطابع خاص ، فترى ان الشخص الذي عرفه لم يعد ذلك الشخص او كما كان عليه قبل اقترابه منه .

اما الذين يحسون سحر حضوره على اشد صورة ممكنة فهم الهائجون والاشرار والضالون . هؤلاء الذين « اجتازوا الحدود » وكانت لهم الجرأة على خرق القانون الاخلاقي . من الذي سيفهمه منذ البداية وقبل كل انسان ؟ انه روجوزين ذلك الوحش الذي يقتل عشيقته في نهاية الكتاب . وناستازيافيليبونا تلك العاهرة الجريئة التي تتحدى كل شيء . لماذا ؟ لان هذه المخلوقات قد تحررت من جميع المبادىء الاخلاقية السائدة وعبرت الجدار . حقاً انهم ضلوا الطريق بعد ان انفلتوا خارج هذه الاسوار التي كانت تطوقهم . غير انهم وهم الذين حاولوا ان يقهروا الحرية فتألموا وعملوا الشر قد صاروا اقرب الى الحقيقة وانهم ليستحقون هذه الحقيقة اكثر من اولئك الذين لم يحاولوا محاولة في سبيل التعرف عليها . وهكذا فالجموح يبرر كل شيء !

وهنالك مخلوقات اخرى مقربة الى موشكين . هنالك الى جانب هؤلاء الذين فروا خارج سجن العالم اولئك الذين لم يدخلوا اليه بعد ، وهم : الاطفال . والاطفال لهم روح لينة لا تعرف الاكراه ! انهم لم يكونوا لانفسهم بعد رؤية جامدة عن العالم لانهم لم يملكوا الوقت لذلك . كل شيء حركة وحظ لديهم فهذه المخلوقات الجديدة ، هذه « الطيور » هي بالفطرة ما يحاول الآخرون ان يكونوه خلال تجارب هائلة . انهم يعيشون قريباً من الطبيعة ، قريباً من الله . ولكنهم فيما بعد سيؤمنون بقواعد البشر فتخسرهم الحرية . ان اباءهم واساتذتهم سيجعلون منهم شيوخاً صغاراً قبل الاوان . وسيقوونهم في العلم ويجعلونهم مفكرين جامدين وبورجوازيين ميالين الى الدعة والرفاهية .

سيجعلونهم ممسوخين ! غير انهم الان وقبل ان يتشوهوا اصدقاء موشكين لان موشكين مثلهم صغير ضاع في ساحة الكبار وهو يقول : « بوسع الاطفال ان يبدوا النصح في اهم الامور . وكيف « يستطيع » الانسان ان يخدع هذه الطيور الصغيرة العزيزة عندما تنظر اليه بمثل هذه العذوبة والاطمئنان ؟ اني ادعوهم طيوراً لانه لا يوجد في العالم شيء احسن من الطيور .. اما تيبو - مدير المدرسة - فكان يحسدني . في بادىء الامر حرك رأسه وتعجب كيف ان الاطفال يفهمون ما اقوله لهم ولا يستطيعون ان يتعلموا شيئاً . ثم سخر مني عندما اجبته بانه لا هو ولا انا نستطيع ان نعلمهم شيئاً وان الاحرى ان يعلمونا « هم » اشياء كثيرة » .

فالعقليون قد شادوا في وجه السماء سوراً من الحقائق الانسانية يحجب عنهم الانوار العلوية . وان كبرياءهم الخاصة قد وقفت بينهم وبين الحقيقة « فحجبت هذه الكبرياء عن العقلاء والاذكياء ما كشف للاطفال » .

ونعود بحديثنا الى هؤلاء المتمردين وهؤلاء العصاة السعداء فنقول ان هنالك نوعاً من الاخاء الخفي يربط بينهم جميعاً . فهم بعد ان ضاعوا في لانهاية الشعور قد ارتبط بعضهم مع البعض الآخر بتيارات « تليبائية » . ولذلك نراهم يحزرون انفسهم قبل ان يفعلوا شيئاً ولديهم بصيرة نبوية بالمستقبل . لا شيء يثير استغراب اصحاب الرؤى المذهلين هؤلاء او يغرهم او يخدعهم عن انفسهم . ولذلك نرى ان الابله عندما يسأل عن رأيه في

امكان الزواج بين نستازيا فيليبونا وروجوزين يجيب ببساطة : « نعم ، اني اعتقد انه سيتزوجها في فترة لا تتجاوز الغد لكنه يقتلها بعد اسبوع من ذلك » . وتقول شخصية اخرى من شخصيات الكتاب : « اني خائفة ولا اعرف لماذا . يخيل الي ان هنالك شيئاً ما في الجو .. شيئاً يطير كالخفاش واني خائفة . اني خائفة ... » .

ونستازيا تدرك موتها تماماً قبل وقوعه . فهي تكتب عن روجوزين : « كم اتمنى لو اقتله لشدة خوفي منه .. غير انه هو الذي سيقتلني اولا .. » والأمير موشكين عندما يلمح سكيناً على مائدة روجوزين يحزر انه يرى نفس السلاح الذي سيستعمله المجرم فيما بعد في ارتكاب جريمته ويقول له : ـ « اتستعملها لقطع صفحات الكتاب ؟ ـ نعم .

ـ انها سكينة حدائق اليس كذلك ؟ ـ اجل ، الا يستطيع الانسان ان يقطع الورق بسكينة حدائق ؟ ـ بلى ، لكنها .. لكنها جديدة تماماً » . ثم يسأل الأبله نفسه عند خروجه من مضيفه : « هل تقرر ان يرتكب روجوزين جريمة القتل ؟ » . وسنراه بعد حين عندما تقتل نستازيا يتوجه الى بيت روجوزين من دون ان يستدعيه أحد ولمجرد ان قلبه يحدثه بان مصيبة قد حدثت . وسينتظره روجوزين بالقرب من داره لمجرد ان احداً يهمس في نفسه بان موشكين سيزوره . فيقول له : « تعال معي يا صديقي ليف نيكولايفتش » .

ومع ذلك فهذه الكائنات التي لديها شعور يمثل هذه الهلوسة عن مصيرها لا تملك دفعاً لهذا المصير ولا تستطيع الافلات من الخطر الذي يتربص بها . انها لا تعرف ولا تستطيع بل يمكن القول انها لا تريد ان تتجنب الهاوية التي تتقدم نحوها . ان هؤلاء الاشخاص عبيد لمصيرتهم وهم لا يتحكمون في حياتهم بل يستشعرونها انهم جياع الى الانطباعات القوية وهم لا يرغبون في السعادة ولا في اليأس بل يتوقون الى الشعور بوجودهم وكل المستساغ من اجل الاحساس بحدود هذا الوجود . اني اتألم فانا اذاً موجود ، وانا اتغلب على الآلام فانا اذن سأكون موجوداً . ذلك هو شعارهم وذلك هو مبداهم في الحياة . فكل من يسمح للحوادث بان تزعزعه وترجه رجاً يتجه نحو الله . وكل من يريد ان يحترز منها يزيغ ويبتعد عنه . والقصة ليست سوى سلسلة من الكوارث ، تدرك هذه « الشخصيات الحساسة » كل واحدة منها قبل وقوعها وليس من بين هذه الكوارث من يرفضها بصورة ارادية .

الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ان ابطال دستويفسكي لا يتوقون إلا لما يسبب هلاكهم . والأمير موشكين «هذا الرجل الطيب الى آخر حد» يتوجه منذ ساعة وصوله الى بيت الجنرال ايبانشين فما يكاد يقدم الى العائلة حتى يتصل بجميع المكائد التي تدبر في الخفاء . فهو يهتم بما لا يعنيه وبما يهدد طمأنينته وحياته . ما يكاد يلمح صورة فوتوغرافية تمثل وجه نستازيا فيليبونا الذي يرتسم عليه الألم حتى يصمم ان يهب اسمه لهذه الخاطئة العظيمة . ومع ذلك فهو لا يجهل ان هذه الرغبة سخيفة خالية من كل معنى لكنه ينافس روجوزين الرجل المشئوم على هذه الفتاة الشابة . ثم لما يتنازل عنها اخيراً يدرك جيداً انه يرسل نستازيا فيليبونا الى الموت . ونستازيا فيليبونا تقتفي خطوات روجوزين لأن هذا اكبر خطأ يمكن ان ترتكبه . وروجوزين يقتلها لانه يحزر انه سيندم على هذا العمل طيلة حياته

وسنرى في نهاية القصة بان القاتل والرجل الطيب الى آخر حد يتصالحان امام الجثة، لأنهما يحسان في الاخير انهما قد انجزا ما لم يكن بد من وقوعه .

يبدو ان هذا الكتاب المفعم بالهوى الجامح اول «قصة حب» كتبها دستويفسكي . ومع ذلك فان الحب ، او بالاحرى انواع الحب التي تكون لحمة «قصة الابله» ليست لها قيمة حقيقية بحد ذاتها . انها موانع يجب اجتيازها لا مواقف يامل الانسان في الوصول اليها ! وهي مراحل لسير نحو الحقيقة لا الحقيقة نفسها . فالحب عند دستويفسكي لا يشير ابداً الى راحة تنعم بها النفس او الجسد إذ الرغبة لا تكتفي ابداً والاتصال الجسدي لا يؤدي الى غاية حقيقية . ان المرأة ليست موجودة بالنسبة له الا باعتبارها رد فعل منعكس وليس مكانها بين الانسان والله مجرد من الفائدة فهي موجودة في هذا المكان لكي تنبه الرجل الى الألم . لكي تعذبه وتصرعه وتنهضه وتجذبه خارج القواعد الاخلاقية وتلقي به وهو لاهث مدهوش - وقد عاد انساناً جديداً الى اقصى حد - في عالم الحرية الذي لا يمكن وصفه . انها تمثل الاغراء الذي يعلن بواسطته الهدوء الأخير .

ولذلك فمن العبث ان نبحث في قصص دستويفسكي عن امراة تكون الباعث الرئيسي في الكتاب عن امرأة مثل «انا كارنينا» او «نتاشا» لتولستوي او «مدام بوفاري» او «يوجيني جرانديه» أن قصص دستويفسكي العظيمة قصص [مذكرة] والتاريخ الطبيعي للانسان عند دستويفسكي - لو استعملنا تعبير برديائيف - تاريخ طبيعي مذكر . فليست للنساء عنده قيمة خاصة بل هن وسائل لا غايات . وغالباً ما «تخدم» امراة واحدة رجلين في نفس الوقت إذ يكون كل واحد من الرجلين مجذوباً نحو هذه المرأة لأسباب مختلفة . كما ان من الممكن ان يحب رجل واحد امرأتين في نفس الوقت . والمرأة تغري بازدواج الشخصية المذكرة بواسطة نوعين من الحب : حب الشفقة والحب الشهواني . ونحن نرى ان الأمير موشكين يحب نستازيا فيليبونا وكذلك اجلاييه الجميلة ابنة الجنرال ايبانشين . فجمال اجلاييه يفتنه ويجذبه لكنه يشعر بشفقة لا حد لها لدى رؤيته وجه نستازيا فيليبونا المتألم . وهو يقول : « لم استطع تحمل وجهها . اني اخاف من وجهها وانا لا احبها حب غرام بل حب شفقة » . وعندما يطلب اليه ان يختار بين نستازيا فيليبونا واجلاييه نراه يتجه نحو الاولى : « لم يكن يرى سوى تلك المجنونة ، تلك اليائسة التي تركت في نفسه اثراً حزيناً دائماً انها تعيسة الى اقصى حد ! » .

اما نستازيا فيليبونا فانها تتردد بين هذا الأمير المريض العفيف الطيب الى حد الحماقة وبين روجوزين القاسي الشهواني . انها تثير الشفقة لدى موشكين والشهوة الجنسية الهائجة لدى روجوزين فيلعب كل من جسدها وقلبها دوراً في مصير هذين المخلوقين اللذين تكبلا بقيودها . وهي ستهلك احدهما بجسدها والآخر بقلبها . ومع ذلك فان هذين المحبين اللذين يتصالحان لدى موتها يشعران انهما تقدما خطوة نحو نفس الخلاص .

وهكذا يعتقد دستويفسكي ان الحب الذي يتوجه الى مخلوق معين لا يستلب من الله . والحب الأرضي لكونه ناقصاً عابراً مؤلماً مضحكاً ، يهز النفوس ويهيئها للحب الوحيد الذي لن يخدعها ابداً . ومن الملاحظ من ناحية اخرى ان محبة القريب هي المعونة الوحيدة التي نجد ان شخصيات دستويفسكي تتطلبها الواحدة من الاخرى . فموشكين القديس لا يعرف الفعل بل يعرف الحب . وهو عندما يفعل يخدع نفسه وتكون النتيجة انه لا يقصر في مساعدة الشخص الذي يريد مساعدته فقط بل يعرض اشد المواقف هناءة للخطر . ونحن نجد ان مرور هذا « الانسان الطيب الى آخر حد» يكافأ بجريمة قتل وثلاث او اربع مآسي عائلية . وينتهي الأمر بالرجل الطيب الى آخر حد، الى ان يسقط في هاوية الجنون : فهو لم يستطع الحياة في هذا الجو الذي لم يكن جوه ولم يستطع ان يلائم بينه وبين الحالة البشرية . انه لم يستطع ان يصير انساناً . ومع هذا فان خسارته قد انقذت اولئك الذين كانوا يحيطون به ، بينما أغنى حضوره جوانب كثيرة وايقظ وجدانات

نحو المسائل الرئيسية الخطيرة. « ان لم تمت حبة القمح الساقطة في الارض فانها ستبقى وحيدة. واذا ماتت ستحمل ثماراً كثيرة »

وهكذا يبدو ان هذه الآية الموجودة في الانجيل هي النهاية الخفية لقصة « الأبله » .

لعل شخصية « الأبله » اقل الشخصيات التي تصورها دستويفسكي انسانية. « فاليوشا كارامازوف » انسان طيب الا انه لم يكن يجهل شيئاً عن الشر، وهو يعرف الشهوات واغراءات الجسد والروح ويسيطر عليها. ان اليوشا كارامازوف مخلوق كامل بينما الأمير موشكين صورة لا ارضية . انه مخلوق قد تحرر من كل شهوة جسدية وهو نفسه يقول : « انا لا استطيع التزوج من امرأة . اني مريض » . ومع ذلك فقد كان من الضروري منح هذا الكائن فوق الطبيعي ، اربطة تربطه بهذا العالم المحسوس . كان من الضروري إلباس هذه الفكرة جسداً ووجهاً وصوتاً وماضياً . وقد فعل دستويفسكي هذا وزاد عليه . فانه لكي يغني هذا البطل الذي لا ثقل ولا حجم له قد جعل شخصيته الخاصة تساهم في هذا التجسيد

فموشكين مصاب بالصرع وهو يشعر مثل دستويفسكي بهذا الفرح العظيم الذي يملأ جوانب نفسه قبل ان يصاب بنوبة الصرع ومثله ينتظر ويتوقع هذه اللحظة الثمينة التي يتكشف له فيها بمثل البرق، ذلك الانسجام الاعلى للعالم : « يبدو لي في هذه اللحظة اني افهم عبارة الحواري الخارقة : [لن يعود للزمان وجود!] » وهذا المرض يبقيه بصورة مستمرة في نوع من النوم المغناطيسي المشع . فالعالم شفاف بالنسبة له وهو يرى عبر المخلوقات ويحيا في المستقبل بصورة خفية . وذكريات الأمير مقتبسة من ذكريات دستويفسكي نفسها . فالأمير يروي قصة رجل يقرأ عليه الحكم باعدامه رمياً بالرصاص باعتباره مجرماً سياسياً : « وبعد عشرين دقيقة ورد العفو عن هذا البائس بتخفيف عقوبة الاعدام الى السجن الموقت . غير انه قد مرت بين قراءة الحكم بالاعدام وبين وصول المرسوم بتبديل العقوبة عشرون دقيقة او ربع ساعة على الأقل . وخلال هذه الفترة عاش هذا المسكين وهو مقتنع تماماً بانه سيموت بعد بضع لحظات » .

وهنالك تفصيلات شخصية اخرى يسبغها دستويفسكي على بطله مما لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقال .

وهكذا فنحن نشعر خلال الكتاب كله ان دستويفسكي يبذل جهده ويكدس التفاصيل المادية والدقائق والملاحظات الشخصية لكي يبرر قصة العالم الآخر هذه في نظر الجمهور . انه يحشر في عالم « اثنين في اثنين يساوي اربعة » شخصيات تصورها تحت طابع « اثنين في اثنين يساوي ثلاثة » . انه يجاهد للتوفيق بين ما لا يمكن توافقه . ومع ذلك فليس هنالك بين « كومبارس » هذه القصة من يضع قدميه حقيقة على الارض . روجوزين ، نستازيا فيليبونا ، هيبوليت ، ليبيديف ، اجلاييه ، ايفولجين : كل هؤلاء يشاركون في اثارة كابوس من الكوابيس . ان الأمير يسأل نفسه : « الا يستطيع روجوزين تحمل النور ؟ » . فهو يود ان يعرف نفس غريمه بالضبط . الا تنطوي هذه النفس الا على هوى اعمى ؟ وهل هو عاجز عن التألم والرثاء للالام ؟ تقول نستازيا :

« ان روجوزين صموت . وهو يسكت بصورة مرعبة ولا تتكلم الا عيناه » . وهذا الرجل يبدو لنا انه لا يملك نفسه . فنحن نشعر منذ بداية الكتاب انه معلق ، ملقوف ، موجه نحو جريمته . وهو يقتل هذه الفتاة التي طالما اشتهاها وتاق اليها ، في نفس اللحظة التي تستسلم فيها اليه وتترك كل شيء لتلحق به . لقد كان يأمل في فهمها عن طريق تعانق جسديهما ، واذا بهذا العناق نفسه يبعدهما الواحد عن الآخر . فهذا اللحم وهذه الرائحة تسلبه وجوداً لا تكشف عنه اية مداعبة ولا اي عناق . ان الحركات الانسانية لا تكفي للتقريب بينهما ، وروجوزين المنحني على هذا الوجه وهذا النفس اللاهث يتألم لانه يشعر ان هذه المخلوقة التي يضمها اليه بعيدة عنه كل البعد . انها ليست له بصورة كلية ولن تكون له بصورة كلية ابداً فضلا عن انها ستتركه في يوم من الايام ، فليس بوسع سوى الموت ان يحفظها له . ولذلك فهو يطعنها بالسكين في قلبها ثم يبقى ينتظر زيارة الامير . وعندما يأتي الامير لا يستغرب من اعتراف روجوزين بارتكابه الجريمة ، ثم يتدهور الاثنان شيئاً فشيئاً الى عالم



اللاشعور . وعندما يأتون لتوقيف روجوزين يجدونه جاثماً ينتحب بشدة عند اسفل السرير الذي تنام عليه القتيلة والامير يداعب بلطف شعره ووجهه .

اما نستازيا فيليبونا فقد تنبأت بموتها قبل ابتداء مغامرتها . فهي تقول مبتسمة قبل ان تذهب الى الكنيسة : « اني شاحبة كالاموات » . وفي الحقيقة ان تمزقات هذه النفس الخاطئة لا نتيجة لها الا الموت . ونستازيا فيليبونا تحب روجوزين كالحيوان الذي يشعر انه مجذوب الى حيوان آخر برائحته . فهي تحب روجوزين وتعترف مع ذلك بان هذا المخلوق الفظ غير جدير بها ان الامير وحده هو الذي يتمكن من فهمها وحب الامير وحده هو الذي يستطيع ان ينقذها من هذا الانحطاط ، غير ان حبه اقرب الى الشفقة من ان يرضيها . فهي متكبرة ولا ترضى ان يتصدق عليها احد بالشفقة ومن هنا منشأ رد فعلها الذي يجعلها تعز عارها الذي يمنعها من ان تكون محبوبة كما تريد . واجلاييه تقول لها : « انك لا تستطيعين ان تحيي الاخزيك والا تفكيرك المستمر بانك مفقودة ، وان هنالك من جعل منك امرأة ساقطة . انك لو كنت اقل تلوثاً او لم تكوني ملوثة ابداً لازداد شقاؤك . » .

ولكن هذا التعطش الى المذلة عند نستازيا فيليبونا يقترن بصورة غريبة بغرور لا حد له . انها في الواقع « ترغب ان تذل نفسها ولا تريد ان يذلها احد » . وهذه الملاحظة تنطبق على جميع مخلوقات دستويفسكي .

وحول هذه الشخصيات الرئيسية الثلاثة تتزاحم طائفة بهية من الطفيليين والفاجرين والساقطين. فهنالك ليبيديف الموظف الذليل. ذلك المرابي المتقلب اللسان الذي يبرع في تفسير [سفر الرؤيا].وهنالك ايضاً الجنرال ايفولجين ذلك المسكين الذي يكذب لأنه يجد لذته في الكذب ثم ينتهي به الامر الى الا يعود يميز بين الكذب وبين الحقيقة . وهنالك كذلك الجنرال ايبانشين احد عشاق نستازيا فيليبونا المرتعد الفرائص ومحب رامق آخر هو جانيا الذي لا يفكر في الزواج منها الا من اجل الحصول على وظيفة محترمة . وهنالك اجلاييه الجميلة التي تستهزىء بالأمير وتعبده مع ذلك.وهنالك اخيراً وبصورة خاصة صورة هيبوليت الغريبة.ذلك الشاب المصاب بالسل الذي ادرك بان الساعات الباقية من حياته معدودة فاحس بالحاجة الى ان يقرأ اعترافه بصورة علنية. وقد جعل دستويفسكي من هذا المحتضر واسطة لاثارة مشكلة المعنى النهائي للحياة !

فهيبوليت كالمؤلف نفسه ممزق الروح من نضال الفكرة مع المادة : هل يوجد شيء خارج الجدران وهل هنالك قوة تستطيع خرق قوانين الطبيعة ؟ هل المعجزة ممكنة ام ان كل شيء نظم على اساس «اثنين في اثنين يساوي اربعة ؟ » . وهيبوليت يتجه نحو المسيح لأنه التعبير الاكبر عن الفكرة المنتصرة ويفكر في اللوحة التي لمحها في غرفة روجوزين وهي نسخة لصورة «النزول من الصليب» للمصور هانس هولباين. وفيها يبدو المسيح وقد انفصل عن الصليب بعد ان قاسى استشهاداً لا انسانياً وتركت جثته تتفسخ. وهيبوليت يرى فيها دليلا على ان قوانين الطبيعة وقواعد « اثنين في اثنين يساوي اربعة » من القسوة بحيث لم تتراجع حتى امام سر المسيح وهي قد سحقت بغباوة ومزقت المخلوق العجيب العزيز الى آخر حد «ذلك الذي كان يفضل وحده الطبيعة كلها وقوانينها. بل لعل الطبيعة كلها لم تخلق الا لانتاجه» ولفيبوليت يعتقد بان المذاهب الفلسفية والأديان ليست بشيء ازاء المادة والعدد . قد يقال بان المسيح بعث في الأخير . غير ان نهايته [الشائنة] بقيت [اخفاقاً] للايمان وان الموت هو الذي يحكم الكون. غير انه عندما يسال الأمير بعد عدة ايام عما يتعلق بمعنى الحياة، يجيبه موشكين بهذه العبارة العجيبة : « مر في طريقك وسامحنا على سعادتنا » .

فالايمان لا يمكن الحصول عليه بالانتقال من استنتاج عقلي الى استنتاج آخر كما هو متبع في حل احدى المشاكل . انه لا يكتب بالعقل بل بالشعور . فليمض في طريقه اذن هذا الذي ليست له القدرة على استشعار هذه السعادة خارجاً على كل عقل وضد كل عقل وليترك الآخرين بسلام.وهذا هو الدرس الذي نستخلصه من حادثة هيبوليت الرائعة .

وهكذا نرى ان هذه القصة المسهبة اللاهثة التي فقدت كل اتزان تتابع سيرها في جو من الحلم المبهم. في كل صفحة يواكب عدم الاحتمال « التفاصيل التي حياها المؤلف » . وفي كل صفحة يحس الانسان المجهود الذي يبذله مؤلف جرفته الفكرة وهو يجاهد لكيلا تفقد اقدامه الارض . وقد كتب دستويفسكي الى الى ستراخوف يقول : « ان ما يدعوه اغلب الناس بانه وهمي وخارق للعادة هو بالنسبة لي الحقيقة باعمق صورها . فانا لا اتشبث بالقصة بصورة جوهرية بل بالفكرة » .

بعقوبة - العراق نهاد التكرلي

العنقود

•

لاكرم الوتري

بغداد

في وحشة الليل المقيم شذاً من الحلم القديم
أصداء أغنيـة تذوب .. وهينمات في النسيم
وشعاع حب لا ينام يفيض من مقل النجوم
أبقت لي الأنواء عنقوداً وحيداً في كرومي
ولسوف يترع بالهوى قدحي ويسكرني نعيمي

***

يا وحشة الأشباح في دربي المعفّر لن تدومي!

☆

وحشة

•

لعبد الوهاب البياتي

بغداد

اقسى من الموت مقتي لها مقتي
تمنحني قلبها لتشتري صمتي
وبعدها ، بعدها لا يأس من موتي
بالأمس كان الهوى يضيء لي بيتي
واليـوم لم يبق لي الا الذي شئت
وحدي ؟ بلا موعد اصيح : «يا انت»
تغمرني وحشة ـ والليل لم يأت ـ
قاحلة ، سبخـة ضـائعـة الوقت
يجف في تيهها علي فمي صوتي
عمود ملح بها كنت ؟ اجل كنت ؟

***

بالأمس كان الهوى يضيء لي بيتي
واليـوم لم يبق لي الا الذي شئت

نقطة دم

مهداة الى رفيقي محمد عيتاني

بقلم محمد ابراهيم دكروب

قصة

في رحلتي الاولى الى تلك البلاد ، كانت الفوضى تهزج ، واللؤم يرقص ، والافواه الشرهة لا ترتوي من شرب الدماء ، والظلم يكشر عن انيابه البشعة فتندلع من اعماقه النيران .. اما الاحرار من الناس فقد كانوا يستترون في الظلام ، ويختبئون في الجحور كأنهم جرذان نتنة !

واما في رحلتي الثانية ... فقبل ان ادخل المدينة الكبرى ، المحاطة بأسوار عالية غليظة ... التقيت بشيخ جليل، يلف جسمه بعباءة بيضاء،ويجلس على صخرة صغيرة تشرف على واد رهيب، فجلست بجانبه استريح مطمئناً الى ابتسامته الطاهرة التي غمرتني برعشات هائلة لذيذة اضفت على المكان روعة لعلها اقرب شيء الى روعة اجواء الجنة .

وامامنا ، كانت السهول الربيعية الخضراء تتسع وتمتد حتى تتحد بسماء زينت بندف قطنية لونتها شمس الغروب بلون شاحب يضرب الى الاحمرار...وهناك... في اعماق الوادي الحالم .. كان بعض الفلاحين يعودون من حقولهم هادئين مطمئنين،ويسيرون على تموجات وادعة تتصاعد من حنجرة ساحرة..

كان في الجو اطمئنان وهدوء...وفي اعماقي دهشة وتساؤل، والى جانبي شيخ جليل يحدثني حديثاً عذباً يتدفق من نبع صاف .

قلت : - عمي الشيخ .. لقد زرت هذه البلاد منذ زمن .. فهل حدث لها شيء في غيابي ؟

فهز الشيخ رأسه مبتسماً .. وتطلع الى المدينة الكبرى .. ثم اجال بصره فيما حوله ! وقال:

- هذا يا بني قصة عظيمة ، ستسير عبر الايام ، وتجتاز العصور حتى تفعل ما يراد لها ان تفعل .. فقد كانت بلادنا مظلمة لا يرى اهلها من حولهم بصيص نور ، فكانوا يخوضون بحراً من الدماء والدموع دون ان يروا الى احمراره .. جياعاً عراة .. يدسون انوفهم في التراب بحثاً عن اللقمة ، فلا يجدون سوى الدود النتن .. والافاعي .. ! الافاعي .. ! الافاعي الضخمة البشعة الشرسة كانت تتسلل دائماً من القصر الذهبي فتنهش الناس وتمتص الدماء من اجساد تغذت بالدود .. !

وكان هناك « ملك » يسكن أعلى القصر ، ويخوض هو الآخر بحراً من الخمر المصفى بمعاصر ذهبية بدد بريقها نور قلبه ، فغدا لا يرى في الوجود سوى ، نفسه !

كانت حالة مؤلمة يا بني، تعاني منها أهوال سوداء ، فلا الشعب الغارق في الدماء والدموع يدرك من أمر مليكه شيئاً ، ولا الملك الغارق في الخمر واللذة يدرك من أمر شعبه شيئاً ... وبين قوة وقوة ضاعت المقاييس ، فاذا البلاد كلها معدة وجسد ! !

ولكن شيئاً خفياً كان يفعل في الأعماق ، فيسير بالبلاد نحو بعث جديد ...

ذلك ان الملك قال لحكيمه يوماً :

- لا شيء ينقصني في هذا القصر ، فهنا ذهب وخمر ونساء، صفقة واحدة من يدي يأتيني بعدها كل شيء ، ولكنني مع هذا أشعر بضيق ، وفراغ ، وسأم .. !

فاطرق الحكيم قليلا ، ثم تأمل الشمس من خلال زجاج القصر وهي تغرب تاركة خلفها ضباباً أحمر...

وأجاب : - ليس الوجود - يا مولاي - قصراً من ذهب ، وقلب الانسان يتسع لعالم كبير ، فهو بحاجة كل يوم الى دفقات جديدة من الجمال والتجربة، وأنت - يا مولاي - إنسان قبل كل شيء ، تحتاج الى جمال ، الى روح ، الى شيء يقال له الاطمئنان وراحة...ثم تحتاج الى نزهات خلوية ، على روابينا هذه ، كي تتامل بحرية شمس بلادنا ، وأرضها ، وسماءها ، وسكانها ...

قال الحكيم هذا، ثم خرج تاركاً الملك وقد غاب في حلم غريب

... ومضى يوم ، وهل يوم ...

فقال الملك لوزيره : - أشعر يا وزيري بضيق وفراغ وسام ولعلي أحتاج ، كما قال الحكيم ، الى جمال وروح ونزهات اتعرف من خلالها على طبيعة بلادي،وانا أستشيرك بهذا،فماذا تقول؟

فاجاب الوزير ، بعد ان حدق بصورة حمراء لمعركة حربية:

- القضية يا مولاي أعمق من هذا الجو الضيق ، فانت لا تملك من الدنيا سوى هذه المدينة المحاطة بسور غليظ، والتي ضاقت بها نفسك الطامحة، فهي تريد شيئاً عظيماً ، اكبر من هذا بكثير !

ثم صمت، وعاد فنظر الى الصورة الحمراء..

وتابع : - فهل تأمرني يا مولاي بالزحف على رأس جيشنا المعظم لفتح المدن المجاورة، وبهذا تجد نفسك لطموحها متسعاً ..؟

تأمـل الملك وزيره ، ثم نظر الى الصورة الحمراء ، وهز رأسه حائراً ، ثم عاد فامر وزيره بالخروج ، وجلس على كرسيه الذهبي وقد غاب في حلم غريب ...

ومضت ايام ، وهل يوم ...

فقالت محظية الملك لوصيفتها : ـ ما لي احس ان الملك بارد جامد منذ ايام ، لا يهتم بي ولا يتطلع نحوي ؟ واذا قبلني فكأنه يقبل قطعة مذهبة من اثاث قصره الفخم .!!

فاجابت الوصيفة بعد ان نظرت الى المرآة بخبث نسائي : ـ انت تعرفين الملك ، فهو حيي خجول ، لا يستطيع ان يصرح بسهولة ، وخاصة امامك ، عن مشاعره العاطفية الخاصة ، ومن يدري ؟ لعل في الامر شيئاً .! او لعل وراء هذا ، إمرأة ..!

فاجابت المحظية بلهجة جادة : ـ ليس الامر كما تدعـين ، فاني منذ ايام ، كلما فاجأت الملك في خلواته ، اراه ذاهلا ساهماً يفكر ، او اراه جالساً الى الشرفة يتأمل السماء والنجوم والقمر او متجولا في الحديقة بين الازهار المتضوعة عطراً ، او متطلعاً الى السهول المحيطة بقصرنا ، وكأنه في حلم غريب ...

ومضت ايام ، وهل يوم ...

وكانت ليلة عجيبة غريبة سوداء ، عاصفة مزمجرة كأنها نفس مظلوم ثائر ، وكان في المدينة شبح يجوس في الظلام ، متنقلا من زقاق الى زقاق ، يتطلع هنا وهناك كأنه لص هارب ، فيرى ما يجعله يظن نفسه في جحيم .

اجساد بشرية مكدسة على الطرقات ، اختلطت ثيابها ودماؤها ودموعها بالوحل النتن ، فغدت ولا فرق بينها وبين دود الارض سوى حدقات ترسل الشرر نحو هذا الذي يجوس في الظلام ، فتبعث في قلبه رجفة وفي روحه رعدة وفي اعمـاقه شعوراً بانه لص جبان حقير ، يتخفى عن الناس ليخفي عنهم جرائمه ..؟

احس هذا الشبح كأن بيده خنجراً ساماً يزهق به روح كل جسد من هذه الاجساد المتراكمة فوق الوحل ، ثم عاد فشعر ان هذه الحدقات النارية تطلق نحوه اسهماً سامة تنفذ الى اعماق قلبه فتفجر منه الالم والدمـاء ، فاذا هو يرتجف ويضطرب ويسرع في سيره فزعاً لاهثاً ...

في هذا الجو الاسود ، غضبت السماء فقذفت الارض بالسنة نارية حمراء ، تبعها سيل من المطر غزير انصب على هذه الاجساد المسجاة فانطلقت تعدو باحثة عن زاوية تحتمي بهـا او كوخ تأوي اليه !..

وظل الشبح سائراً ساهماً ، وازداد غضب السماء ، وعنف المطر ، وزمجرت الريح ، وجزع الشبح فلجأ الى ظل حائط يقيه عصف الزمن ..!

ومضت ساعة ، والدنيا ما زالت تولول ...

واطل من الظلام وجه اسمر لراع هزيل ستر جسده بخرق ممزقة ، وسار خلفه كلب ضعيف يبصبص بذنبه مرتجفاً ، ولجأ الراعي الى ظل الحائط وهو يلهث تعباً ، ثم اخـذ يئن بصمت ويسعل سعالا خافتاً متقطعاً كأن في صدره شيئاً يتفتت ، فاقشعر جسد الشبح الاسود ، وانكمش على نفسه خائفاً ، ثم اخذ يحدق بهذه الضحية المعذبة ...

وومض برق احمر ، وانفجر رعد قاصف ، وعصفت رياح لاسعة ، ثم رأى الشبح بعدها شيئاً رهيباً :

كانت عظام الكلب نائئة ، وكان يرتجف بشدة ويدور على نفسه باحثاً عن شيء ، وكان الراعي ينظر اليه بعطف وحنان كأنه طفل من اطفاله ، وهنا حدث شي يشبه المعجزة : فقـد سقطت من عين الراعي الى الارض دمعة كبيرة رآها الكلب تلمع

في الفضاء ، فاتجه نحو مكان سقوطها وانحنى فوقها كانه يقبلها، ثم ، ثم رأى الشبح الاسود ان الراعي قد خلع بعض خرقه عن جسده فبدا كفقير من فقراء الهند ، وانحنى فوق كلبه يلفه بها، فنظر اليه الكلب بعين دامعة شاكرة ، واخذ يدور ويقفز حوله مبصبصاً بذيله ، مقبلا اقدامه ...

خفق قلب الشبح الاسود، وارتجف متأثراً ، وتصارعت في اعماقه اشياء واشياء ، ومرت كالبرق في مخيلته احداث هائلة من التاريخ ، كان قد درسها في صغره ، وتراقصت امامه آلاف الصور ، ثم نظر الى المطر والى الوحل والى الراعي والكلب والى نفسه ، ثم قفزت من عينيه دمعات متتالية ، وانطلق تحت المطر تلفه الرياح كانها الاعصار ، واتجه نحو قصره الذهبي تاركاً خلفه بقايا حلم غريب ...

وأمام القصر كان ينتظر الملك حدث عظيم وهيب ايضاً :

فقد كان احد الجياع العراة يركض بكل ما لديه من قوة نحو باب القصر ليلجأ الى ظله من عصف الرياح وقساوة الأمطار ، ولعله كان يقصد شيئاً آخر ، هو البحث بين اقذار القصر عن بقايا اطعمة يتبلغ بها !

جزع الملك عندما رآه ، وجحظت عيناه ، فاندفع يركض خلفه بجنون شاهراً سيفه لسبب غامض لا يفهمه !

وفجاة ، وامام باب القصر ، أطاح سيف الحارس برأس الفقير فتدحرج بين الوحل ، بينما تطايرت نقط من دمه فصبغت ثياب الملك بلون أحمر قان ، ولم يستطع الملك بعدها ان يستقر لحظة واحدة ، فغاب كل تفكير من رأسه ، ولم يبق امامه سوى شيء واحد ، هو انه رفع السيف بعنف واهوى به على رأس الحارس بجبروت ، فطار في الفضاء المظلم المعربد ، ثم عاد فتدحرج في الوحل حتى استقر بجانب رأس الفقير ، فاذا دماؤهما تختلط .

ودخل الملك قصره كالمجنون ، ثم ولج غرفته ، وخلع رداءه الأسود فاذا نقطة من الدم حمراء تستقر على صدره فوق القلب، وجلس على احد المقاعد المذهبة يحاول ان يستريح ويهدىء من ثورة نفسه على نفسه ، ولكن عبثاً ، فقد تطلع الى مرآة كبيرة كانت امامه ، وتأمل بها صورته ، فاذا وجهه يظهر بشكل بشع شرس ، شكل مجرم خطير مخيف ، ذي انياب حادة تقطر منها الدماء ، فتحسس وجهه جزعاً وهو يلهث ، ثم حدق بالمرآة من جديد فاذا سحنته تتغير وتتبدل وتسير قليلا قليلا نحو الرقة والوداعة والصفاء والاطمئنان ، فيشع النور من وجهه ، وتتراقص ابتسامة طاهرة عذبة على شفتيه ، وينحدر بنظره الى حيث تلمع نقطة الدم ، فاذا هي تفور وتغلي ثم تتدفق من صدره وتملأ فضاء المرآة حتى تصبح بحراً من الدماء ، يخوضه أناس ضعفاء يبكون ويتالمون ويصرخون ، ثم يرفعون أيديهم الى السماء مستجيرين ... ولكن هذا البحر يأخذ بالتجمع والتقلص فاذا هو نهر صاف يتلوى بين اشجار خضراء ، وإذا لون الدماء يتحول ببطء عذب الى بياض ناصع يشع منه النور فيغمر أبناء الشعب الذين تحلقوا حوله سعداء مطمئنين كأنهم في جنة من جنان الفردوس .

... ولم يستطع الملك ان يتحمل فرحته المتاوجة في أعماقه، ففتح عينيه وانتفض ، ثم نظر الى السماء من خلال زجاج غرفته متاملا مستقبل تحقيق حلمه الغريب ...

ولكنه عاد في مساء اليوم الثاني ، وجلس أمام المرآة حزيناً كئيباً ، يستعرض بما يشبه اليأس ، الاحداث التي مرت به في النهار :

فتراءى له الوزير من خلال ضباب احمر ، مسلطاً سيفه على الجياع العراة ، مطلقاً نحوهم نظرات وحشية شرسة ، فاتحاً فمه كالغول يريد ان يبتلع كل شيء ، والناس من تحته يتراكضون مذعورين !

ثم تراءى له الكاهن الأكبر ، بردائه الأسود ، ووجهه البغيض ، وأصابعه الوحشية التي يغرزها باجساد العراة فيمتص بها الذهب ليملأ منه خزائنه !

ثم رأى ايضاً قائد الجيش بلباسه العسكري الثقيل ، ونفخته المتغطرسة ، يروح ويجيء ضارباً باقدامه الأرض التي رصفت باناس يتالمون !

وزاغ بصره ، وغامت الدنيا في عينيه ، ثم عاد فلمح من خلال الضباب كل سكان القصر وقد تحلقوا حول مائدة طويلة واخذوا ياكلون بشراهة لحوم البشر ، بينما اخذ يدوي برأسه صوت مرعب :

ــ هكذا نحن ، ولن نغير من حياتنا شيئاً ، فاعمل ان استطعت ما تريد !

ومن زاوية المرآة ، بدا له الحكيم بوجهه الصبوح ، يدعوه للخروج الى الحياة والناس والطبيعة ... ثم بدت له الاجساد الموحلة والراعي والكلب والفقير المندفع نحو القصر ، والرأس المتدحرج على الارض ...

وعاد فنظر الى نقطة الدم على صدره ، فلمح خيالها في المرآة وقد شع كأنه شمس جديدة لبعث جديد ...

ــ ولكن يا إلهي ... متى تشرق هذه الشمس وتغمر

بنورها أجواء بلادي ؟

واجابه صوت ترامى اليه من بعيد : ــ عندما تتخلص من افاعي القصر واعوانهم ...

ــ وكيف ؟ فالقوة كلها بأيديهم !

وللمرة الثانية تراءى له الحكيم بوجهه الصبوح ... ثم لمت برأسه فكرة !

وومض في الخارج برق اخترق المطر المندفع بشدة نحو الارض .

***

« مضى الشتاء ، وهل الربيع ...

فقال الراعي لزميله ، وقد كانا يجلسان على صخرة مرتفعة وخلفهما الكلب يبصبص بذنبه :

ــ الأيام حبالى يا رفيقي ، وستتمخض عن احداث عظيمة من شأنها ان تقلب اساليب حياتنا ، ثم تسير بها الى الامام ، لست وحدي الذي يحس هذا ، بل كل من اقابله يحس به ويتحدث عنه ، وخاصة ذلك الشاب الوقور الذي يلف جسمه برداء ابيض ، والذي اشاهده كل يوم في بريتنا الواسعة بين الجبال والوديان والانهار ، يتأمل الارض والسماء والشمس والرعيان ، ويتحدث الى كل انسان حديثاً غريباً عذباً ...

فاكمل عنه زميله وقد خفق قلبه : ــ والذي يدعو الناس الى حقائق حية جديدة ، ويوجههم نحو يوم عظيم يصل بهم الى الخلاص .

فرد الراعي حائراً : ــ ولكننا اذا عثرنا على ارباب القصر الذهبي ، فهل تحجب دماؤنا وتقل دموعنا وتحبس آهاتنا ، وتتخلص من الظلام والوحل فيغمر النور بلادنا ؟ ثم هل نصبح هذا « الانسان الجديد » الغريب الذي يدعونا اليه ذلك الشاب الوقور ؟

فاجاب زميله : ــ لا ادري يا رفيقي ، كل ما اعلمه هو انني وكثيراً من زملائي ، نشعر بعد احاديث هذا الشاب ، بدفقات من النور واللهب تمور في اعماقنا منتظرة ساعة تنطلق فتدمر امامها كل شيء .

ونهض الراعيان ، ثم اتجها نحو المدينة ، يتبعهما الكلب ، ويلفهما من كل جانب جو من الاحلام غريب ...

***

« بعد هذه الايام المحملة بعظائم الاحداث ، هل على البلاد يوم جديد :

فقد أفاق الناس قبل بزوغ الشمس ، وتوجه كل منهم الى عمله خفيفاً نشيطاً مرحاً ، دون شعور بملل او يأس او فراغ ، وعلى غير عادتهم كانت تشع من وجوههم اشياء غريبة عميقة تشير الى حدث خطير مجهول المصير ، ولم يشعر الناس في ذلك اليوم كيف عملوا او كيف طربوا وأكلوا وتحدثوا ، كل ما شعروا به وخفقت له افئدتهم هو : حلول المساء ، وغروب الشمس ، واحمرار الافق ، واضطراب الظلام ، وبزوغ القمر ، ثم اتجاههم من كل صوب نحو ساحة المدينة ، وتجمعهم امام باب القصر الذهبي ، ثم تغلغل هذه القوة السحرية التي جمعت بين نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وحناجرهم فاذا هم يتمايلون كالموج ، ويصرخون من اعماقهم :

ــ نحو الخلاص ، نحو التحرر ، نحو النور ..!

وساروا الى الامام وقد غلت دماء عروقهم ، وبرزت عضلات زنودهم ، ولمع بزيق عيونهم ، وثارت حمم نفوسهم فاذا هم يندفعون كالموج الصاخب المزمجر نحو القصر ، يحطمون في طريقهم كل شيء .

وكان اصطدام هائل بين الحرس والجمهور ، فتطايرت رؤوس وتدحرجت ايد ، وتشققت حناجر ، وتكسرت سيوف ، وغمرت كل هذا بحيرة من دم احمر ..!

وكان الراعي يتلاعب بعصاه في كل اتجاه فيحطم بها مايحتاج

الى تحطيم ، بينما كان كلبه الضعيف الهزيل ذو العظام الناتئة ، يدافع عنه كالنهر الهائج فيحميه من حراب الحرس الغادرة ، وفي الخارج كان زميل الراعي على رأس حملة اخرى تتجه نحو القصر ، وفي الداخل كان الوزير يقبع مرتجفاً في احد الاقبية الخفية دون ان يذكر ساعة تأمل تلك اللوحة الفنية لمعركة حربية حمراء ، وفي المعبد كان احد المخمورين يطارد الكاهن بين الاعمدة ساخراً منه هازئاً بآلهته الصماء ، وفي الوقت نفسه كان قائد الجيش يعتلي صهوة جواده وقد احمر وجهه وفار الزبد على شفتيه واخذ يصدر اوامره ، يائساً للحرس دون ان يفكر ابداً باحتلال البلاد المجاورة ، ومن نافذة كسر زجاجها الملون حجر انطلق من يد صبي ثائر ، اطل الحكيم قلقاً حائراً واخذ ينقل بصره بتفكير عميق بين الجمهور وغرفة الملك في اعلى القصر ، بينما وقفت محظية الملك تتطلع بلهفة نحو الثائرين علها تعثر على قائدهم .. !

في هذه الاثناء ، كان الشعب الهائج قد اجتاز الحديقة بعد ان حطم الاشجار والمقاعد والسلالم والحواجز ، ثم خلع باب القصر الحديدي الكبير واندفع كموجات من اللهب ، فتغلغل في ردهاته ودهاليزه وسلالمه واقبيته صاخباً ضاجاً جائعاً ، بينما اندفع الراعي نحو سلم عريض فخم ، رافعاً عصاه بيمينه ، وخلفه كلبه ومن ورائه جمهور تقدح عيونه شرراً احمر ، ومن شوارع المدينة المقفرة ، كان لا يسمع سوى هدير الجموع ، وصلصلة السيوف وهزيج الاطفال وزغاريد النساء تترامى من جهات القصر الذهبي ...

وفجأة ، اطل على الناس من اعلى شرفة في القصر ، رجل يرتدي ثوباً ابيض ، وخلفه يد الراعي وكلبه والحكيم ومن ورائهم بضعة ثائرين ..!

دهش الناس ، وحملق بعضهم ببعض ثم تاملوا الرجل جيداً فعرفوا فيه ذلك الشاب الوقور ، الداعي الى الجمال والثورة وبعث حياة جديدة ...

وتصاعد هتاف الجماهير بنغم واحد .

وانقلبت الاوضاع ، فاذا شعاع النصر والخير يلف الجميع وهم يهزجون .

وفي نفس الوقت تطلع الحرس الى الرجل برعب هائل ، ثم القوا سلاحهم ، والتفتوا حولهم يبغون الفرار ، ولكنهم بسبب غامض عادوا بلا وعي ، واندفعوا نحو الناس يهزجون معهم ويهتفون بحياة مليكهم السابق الذي ولد من جديد .

وكانت ليلة عظيمة تمخضت في الصباح عن بدء بعث مبدع لانسان حر ...

ومن ذلك اليوم - يا بني - بدأ الناس يعيشون حلمهم ذاك الغريب ...

***

ومضت سنون ، وهلت هذه السنة ...

وها انا يا بني اتمتع مع شعبي العظيم بنتائج تلك التجربة الخلاقة ، تجربة الخروج الى الطبيعة والجمال والناس ومشاركتهم حياتهم الانسانية الخيرة ..!

وصمت الشيخ ذو العباءة البيضاء ، بينما كانت السهول والروابي والاشجار والمدينة والناس يودعون آخر شعاع احمر من شمس ذلك النهار ، ليستقبلوا اول شعاع فضي من اشعة القمر استعداداً لدخول يوم جديد ...

ونهض الشيخ ، فنهضت معه ، ثم سرنا بهدوء ، وسط جو ينضح بالجمال والرهبة حتى التقينا بشبح آخر ، حافي القدمين ، مرتدياً ثوباً ابيض ، فعرفت فيه ذلك الحكيم ، مبدع التجربة الكبرى ، ثم اتجهنا نحو جماعة من الفلاحين لنشاركهم كما يشاركون الراعي ، بهزيج عذب حنون ، كله روعة ، وكله صفاء ، وكله جمال ...»

***

واطرق الجد الهرم الذي كان يروي لاحفاده هذه الاسطورة ، ثم عاد فتابع بهدوء :

«.. والان يا اولادي ، لقد تأخر الوقت ، ولم يعد باستطاعتي وصف ما وصلت اليه تلك المدينة الجديدة من تقدم ورقي ، كل ما اقوله لكم الآن ، هو انني عندما دخلت القصر المتواضع مع الملك والحكيم والراعي وبعض من رافقنا من الفلاحين ، شاهدت في صدر الردهة إطاراً اخضر كبيراً يضم شاشة ناعمة بيضاء ، فتقدمت منها فاذا في وسطها نقطة دم احال الزمن احمرارها الى لون داكن .!

وتطلعت الى الملك ، فحدق بي مبتسما بشكل جعلني افهم عنه ، ثم سرنا معاً نحو الشرفة لنمتع ارواحنا من جديد بنور القمر وهو ينسكب على السهول والروابي والمعابد كأنه حلم وادع .. »

***

وصمت الجد الهرم ، وبقي احفاده مشدوهين ينظرون الى فمه بلهفة ، ولكنه اشار اليهم بيده ، فتفرقوا من حوله ، ثم اتجهوا نحو اسرتهم وقد سيطر على كل منهم جو من الاحلام غريب ...

محمد ابراهيم دكروب

تساؤل

•

بعيداً ، بعيداً
يذوب الخيال
هوينا يسير ،
ويهوي ... بعيداً بعيداً

***

اذا لم يشرق النور تحت الجبال
فكيف المسير في الارض القفار ؟
وكيف الوثوب في وادي التلال
ظلام كثيف
وسر رهيب
وامر غريب ... يلوح بعيداً ، بعيداً
بعيد المنال

***

قفي يا شمس لا تهربي
حرقت الامال ، لم تهربي
غداً اراك ... بل اين اراك ؟
خلف الهضاب
تنيري الليالي
تنيري التراب ؟
غداً فاشرقي يا شمس
غداً فارحمي الكون بنور الحياة
فماذا يفيدك النور اذا
تقلص خلف الضباب ولم ينتشر
وماذا يفيد طيب ينتشر
بين الاقاح ،
وخلف الاقاح
جماجم امست تراباً نتناً ؟

بغداد « امينة »

انـــا

•

من الشاطىء الموبوء
التقطت نفسي
يملأ في الطين
ويضيق بظلي المدى

هائمة تتوغل في المجهول
بألف قدم
وتسحقها قدم عبد
اذل .. تغله الف شهوة جامحة
يعب منها بالف الف شدق

منبوذة تاكل من التراب
لينبثق في جوفها الـهاً
يسجد للطين
ينام في اكباده احقر دود الارض

التقطت نفس
أتوغل بها
في الرغام .. اتفقد النجوم
ومن اختناق الخبث .. اطلب النور

وفي الصمت
حيث تتلاشى كل نامّة
ومن الخلود
ينعدم فيه كل وجود
وثب انا
صـدى .. عرف به الموجود نفسه
فردده .. !
ورميت في وجوههم بالطين
يسد اشداقهم
وهربت انجو بنفسي
صدى ! عرف به الموجود نفسه
انـا ...

بغداد « باكزة »

الانسان الاول

•

لمحمد سعيد المسلم

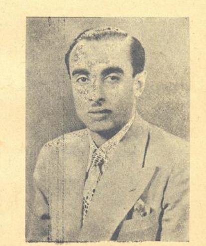
•

القطيف

المملكة العربية السعودية

•

فتح الفجر جفنه فاذا آدم يعدو في لجة الديجور
تائهاً في العراء يسعى على الارض.. يناجي السما بطرف حسير
جاء من عالم البداية يسعى ليس يدري في سعيه بالمصير
علقت روحه الحياة فامسى هائماً في جمالها المسحور
يلمح النور في الصباح فيغدو ملؤه البشر هائماً بالنور
ظمأً للجمال يلهب جنبيه ويذكي فيه خفي الشعور
جشع في الحياة يوقظ جفنيه وما فيه من هوى وغرور
ونزوع الى البقاء.. ولا يعلم ما خبأت يد المقدور



جاء من عالم البداية، يسعى مكرها، ضائقاً بتلك البدايه
هبط الارض ليس يعلم سر البعث فيها.. ولا لأية غايه
وسيخطو في سيره عقبات صعبت مرتقى. وساءت نكايه
حكمة الله قد قضت ان سيشقى حيث لم تات ذاته بجنايه
سددت نحوه يد القدر الغامض سهماً، فكان اصمى رمايه
وسعت في ضلاله حيث امست تنثر الشوك في طريق الهدايه
يا ترى! اي غاية تجتلى فيه؟ وماذا؟ حتى استحق العنايه
اتراه؟ أتى على مسرح الكون فامسى ختام تلك الروايه؟؟

***

سكن الخلد وهو يحمل قلباً عاطفياً يحنو على حوائه
وابتلاه «ابليس» وهو عدو فتولى يفتن في إغوائه
فجرى نحو طبعه ـ وهو غر ـ خاضعاً مصغياً الى اغرائه
فتردى في غيه حيث امسى كافراً بالحياة في نعمائه
فهو يقظان من جراح الاماني خافق الروح شارد الفكر تائه
قد سقته الحياة اعذب كأس فانتشى بالمنى.. وجن بدائه
وحبته انفاسها وهي سكر فتولى يعوم في غلوائه
فهوى مثخناً على مذبح الاطماع ملقى على الثرى.. في شقائه

***

حل في الارض وهو يحلم بالخلد ويجلو بها أماني نفسه
جاء يسعى على ثراها ولا يعرف اين الطريق؟. يبكي لتعسه
يتخطى الفضا على الشاطىء المجهول حيث اعترته يقظة حسه
شارد الفكر لم يجد غير قلب خافق مترع بلوعة يأسه
ان اطل النهار امسى وديعاً واذا ما انقضى تولى بأنسه
فاذا الليل جنه باته اسوان يشكو السماء طالع نحسه
ملأ الغاب لوعة وحنيناً فعلت في الفضاء صرخة بؤسه
ساعياً والزمان يمشي عليه واكف القضاء تلهو برمسه

***

صاح ربي! ماذا جنيت فأشقى افكان الشقا لمثلي محتم؟؟
فبعقلي اشقيتني؟ ام بقلبي؟ ام لأني بعثت في الارض ملهم.
مستمداً قواي منك؟؟ فعقلي قبسة منك.. ان أضا او اظلم!
ام ترى قدر الشقاء على ذاتي؟ وما زلت بالسعادة احلم؟
اى ذنب جنيته؟ ووجودي انت قدرته بما لست اعلم
جئت لم أدر ما يراد بذاتي ومصيري غدا كبدئي مظلم
اتقنتني يداك صنعاً!! فما السر؟ فاني اراك تبني وتهدم
انت اغريتني بما اقترفت نفسي فماذا جنت يداي؟؟ فأءثم!!



في موطن جبران خليل جبران

لمحيي الدين رضا - ١٩٢ صفحة - المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني بالقاهرة

بعمر الاديب محيي الدين رضا في طليعة الرائدين تعريفاً بالادب العربي في المهاجر - وان نسب الفضل في هذا التوجيه الى صديقه فقيد الادب احمد شاكر الكرمي - اذ اصدر منذ ثلاثين عاماً كتابه الشهيد « بلاغة العرب في القرن العشرين » جامعاً شذرات واشعاراً مختارة لصفوة من رسل البلاغة العربية في أمريكا، ولو أنه فاتته نماذج لاعلام سواهم نرجو ان تنتظمهم الطبعة الجديدة المرتقبة من كتابه القيم في مقدمتهم اسعد رستم وندرة حداد وعبد المسيح حداد وشفيق معلوف واسكندر كرباج وحبيب مسعود ويوسف اسعد غانم وحسني غراب ونصر سمعان ونظير زيتون وقيصر سليم الخوري وجميعهم اشهر من ان يعرفوا .

وهو في كتابه الجديد « في موطن جبران خليل جبران » الذي يعرض فيه صوراً ومشاهدات من ماضي لبنان وحاضره لا يزال روح الاديب الشاعر يرفرف على صفحاته المشوقة التي نتمنى لو أنها كانت خلت خلواً تاماً من احاديث السياسة وما اليها مما يشوه محاسن الادب دون ان يخدم المبادىء الانسانية الرفيعة اقل خدمة . ثم ان المراجعات التاريخية المعاصرة التي ذكرها المؤلف لا يقوم اغلبها - ان لم نقل كلها - على البحث الوافي والاستقراء الدقيق . ومما ذكره من الروايات دون بحث ان السيد حليم أبو عز الدين بك رئيس الشعبة السياسية بوزارة الخارجية اللبنانية حقق سنة الف وتسعمائة وخمس واربعين ان اول لبناني هاجر الى امريكا هو انطونيوس المشعلاني من صلما وقد هاجر الى امريكا سنة الف وثمانمائة واربع وخمسين وتوفي بعد ما اقام سنين في بروكلن قرب نيويورك وله ضريح هناك كتب عليه اسمه وتاريخه، في حين ان الذي قام بهذا البحث كاملا ونشره منذ سنين هو الدكتور فيليب حتي الاستاذ حالياً بجامعة برنستن، ولو اراد الاستطراد لذكر ان اول عربي استوطن امريكا كان مصرياً، وقد حقق ذلك الاديب السيد جورج دبس، وفي جامعة برنستن وثيقة عن قدم حضور بعض المغاربة الى امريكا في مستهل القرن الماضي*

فاذا ضربنا صفحاً عن كل هذا، وعن الاشادة بالاشخاص المتزعمين بذل المبادىء العليا التي نبتت في الشرق ثم اصبحت غريبة عنه في جوه الاقطاعي الخانق فاننا مع ذلك نجد فصولا شائقة في هذا الكتاب تعبق بأريج الادب والشعر، وقد حوت الكثير من المعلومات المفيدة في اسلوب جذاب عرف به المؤلف من قديم فهذه نبذة شائقة له عن مغارة قاديشا الى جانب اخرى من ادب جبران خليل جبران في العربية والانجليزية، وثالثة عن عبقرية جبران ومجد لبنان، ورابعة عن معرض جبران، وخامسة عن الاخاء بين مصر ولبنان وعمل حافظ ابراهيم شاعر النيل في سبيل ذلك، وسادسة عن اتجاه لبنان في دراسة الادب العربي قديماً وحديثاً، وسابعة عن الآثار في لبنان، وثامنة عن نواحي الاصلاح التي نهجها السيد محمد رشيد رضا، الى جانب نبذ اخرى لطيفة بين منظوم ومنثور.

ان التسمية التي خلعها السيد محيي الدين رضا على كتابه القديم هي في ذاتها عنوان ذوقه الادبي الجميل، وهو في سنه الناضجة الحاضرة حري بان تستثمر مواهبه الادبية الى ابعد غاية وان يقصى عن ميادين السياسة التي لا تمت الى ادبه الجميل بصلة فاديبنا الفاضل بتلك التسمية البديعة قد اعلن ضمناً انه يؤمن بتطور البلاغة العربية، وان نماذج الادب العربي الامريكي تمثل ذروة عالية في هذه البلاغة . وفي هذا يقول : « ما كنت افكر في الكتابة عن جبران خليل جبران يوم زرت موطنه وما جاوره من جبال شاعت فيها العظمة الطبيعية وشاع فيها الخصب في التربة، وتلا ذلك الخصب في الادمغة والخيالات . والواقع أني ما كنت افكر في جبران خليل جبران وامثاله قبل ثلاثين عاماً، وانما كنت اقصر لذة مطالعتي وحفظي على الكامل للمبرد، وديوان الحماسة لابي تمام، والامالي للقالي . واذا قرأت للعصريين في ذلك الوقت كنت اقرأ للمنفلوطي

* هذه الوثيقة بين اوراق الرئيس الاسبق توماس جفرسن التي نشرها المستر جوليان بويد مدير مكتبة جامعة برنستن - «معلومات نقلها الينا الزميل الأديب المؤرخ فرحات زيادة ».

وشوقي وحافظ واضرابهم من المحافظين على الاساليب القديمة .
ولكن صديقاً عزيزاً علي هو الاستاذ احمد شاكر الكرمي رحمه الله هو الذي اذاقني حلاوة ادب اخواننا ادباء سوريا ولبنان في المهاجر . وكنت اذ ذاك اعلم ان ادباء مصر وسوريا ولبنان في محيطنا لا يتيسر لهم الاطلاع على ذلك الادب الطريف فاخترت طائفة من أدبهم ونشرتها في كتابي (بلاغة العرب في القرن العشرين) منذ ثلاثين عاماً . فراج ذلك النوع من الادب رواجاً عظيماً جعلني اعيد طبع الكتاب بعد ثلاث سنوات، وبعد ذلك وقف تيار تفكيري في هذه الناحية الى ان زرت موطن جبران ، فهاج لي الشوق الاول ... فقد رأيت نفسي بعد مضي ذلك الامد الطويل أستلذ قراءة كتب جبران اكثر مما كنت اعهده فيها يوم تلوتها في اول مراحل الصبا . ويظهر ان ذلك راجع الى ما هي عليه من اساليب تعجب القارئين بحلاوتها ، وجمعها للافكار الحكيمة ، والنقد الحقيقي لاشياء موجودة في محيطنا ، ولوصفها بلاداً عزيزة على النفس ولا سيما عند الذي نشأ فيها نشأته الاولى وشرب من معينها العذب ..

ان جبران وزملاءه في الواقع قد طعموا الادب العربي بنفحات العالم الجديد، وغير قليل منهم كجبران وميخائيل نعيمه ونسيب عريضه ورشيد سليم الخوري وشفيق معلوف كان مبتدعاً اكثر منه مستوعباً ، وكان مطلعاً ادبياً ولغوياً ، ومثقفاً ثقافة حرة ، فكان له ان ينشيء ويجدد ويولد من الالفاظ والمعاني ، لان مثل هذا الادب الحي ليس عبداً للادب الميت ، ولذلك لم يصف هذا الادب الحي بالعجز والتساهل في قواعد اللغة وبالضعف في اساليب التعبير الا اولئك الذين يميلون بفطرتهم الى الجمود وان تظاهروا بالعكس ، وأولئك الذين تحجر الادب وسقم الفن في ايديهم حتى اشرف على البوار ! وكانت صادقة محسنة فقيدة الادب الآنسة مي حين قالت في كتابها الى المؤلف بتاريخ الرابع والعشرين من اكتوبر سنة الف وتسعمائة وعشرين :
« ... ما احسنها فكرة حدت بك الى جمع هذه المنتخبات من نفثات اخواننا في امريكا ، اولئك الذين يقيمون في محيط حر فني واسع ذكي كأنما هو لنشاطه يعيش في كل دقيقة اعواماً . يتناولون تأثيراته بكيانهم الشرقي ، ويكون ذلك الامتزاج فيهم عقلية ونفسية خاصتين ، فيرغمهم على ابداع اسلوبهم هذا الذي اراه بمثابة التطعيم لكثير من اساليبنا الرثة . وبدهي ان تتأثر به الشبيبة الحية المتوقدة وان يتذوقه كل من مرت عليه الاعوام تاركة له نضارة النفس وصفاء الفكر » . وبالفعل قد طعم هذا الادب المهجري من العالم الجديد الكثير من الادب الرث في العالم القديم نثراً ونظماً ، وساعد على خلق نماذج جديدة لا في موطن جبران خليل جبران فحسب ، بل في اقطار عربية اخرى ايضاً ، ولو ان طائفة كبيرة من هذه النماذج تكاد تقتصر على لون جديد من الرومانسية مجزوء التفاعيل منوعها يدور حول الهواجس الشخصية والاستغراق في الاخيلة المركبة التي تسوقها الى السريالية وما فيها من الانتشاء باوهام الطفولة اكثر من حقائق الحياة ، وبعضها يجمع بين فنون شتى من البيان والخيال والعاطفة وتتنافس السريالية والرمزية في توشيتها كما نرى في قصيدة « لعنة الزمن »* للشاعرة الموهوبة نازك الملائكة ، فانها من ابدع شعرها الوجداني الخيالي الوصفي بل من ابدع ما يفتخر به الشعر العربي الحديث ، وعلى سبيل المثال نذكر قولها في الغروب :

كنا نتبع نعش الضوء
ونراقب خطو اللاشيء
اثنين يلوح على استغراقهما المبهم لون المشاق
كنا نرقب كأس الأفق
ترضع من اوشال الشفق
وتصب الحمرة في قلق
فوق السيقان العارية الجرداء تغادرها الاوراق
في صمت وتضم الاعماق !

ولنعد الى موطن جبران والى ادب جبران فنقول ان السيد محيي الدين رضا قد اجاد في وصف مباهج لبنان والمحيط الذي ولد فيه جبران « وسط تلك الجبال العالية التي يتالف الغمام في احضانها ، وكثيراً ما يتجمع الغمام تحت موطيء قدمي الجالس في ذلك المحيط العجيب ، وشاهد جبران تلك المناظر الخلابة منذ حداثته وذلك السمو العظيم في اول نشأته ، جبال يناطحها السحاب وتناطحه ، واشجار باسقة وماء يهدر هديراً شديداً ، وارض خصبة ونماء منقطع النظير ودروب ملتوية ، وشاهد رعاة الغنم والماعز والبقر ، يترنمون بشباباتهم ومزاميرهم ، ويقفون هنا وهناك وراء مواشيهم ، ومع أنه اقام في ذلك المحيط حقبة صغيرة الا انها كانت زمن التكوين فانطبعت في نفسه اذ اقام فيها اثني عشر عاماً ، ثم رحل الى امريكا بصحبة

* مجلة الاديب عدد نوفمبر سنة ١٩٥١ ص ١٠ - ١١

امه فشاهد عالم الحركة والنشاط والداب والحرية مدة مراهقته، فقبس من لبنان العلو والشموخ، واستفاد من امريكا الحركة والنشاط والدأب، فنال المزيتين الفضليين، وقبل ان ينتهي القرن التاسع عشر عاد الى لبنان فانتظم في مدرسة الحكمة الوطنية في بيروت اربع سنوات... وتتابعت عليه الكروب، فماتت اخته (سلطانة) بالسل سنة الف وتسعمائة واثنتين، وبعد اشهر قليلة اصيبت والدته وشقيقه بطرس بذلك الداء وماتا بعد عام من موت شقيقته، فولد له ذلك حالة خاصة هزته هزاً عنيفاً ورفعته رفعة عاجلة، فجعلت منه كاتباً مبدعاً وشاعراً رقيقاً ومصوراً ممتازاً وحفاراً ماهراً». ويعلق المؤلف على كل هذا وعلى ثقافة جبران العصامية بقوله: «ليس التعلم بكثرة السنين التي تقضى في المدارس.. فالعالم كله مدرسة، ومصائب الدهر وحاجاته اكبر معلم، وكل ذلك تتابع على جبران فكان له منه خير معلم واكبر استاذ ومرشد، فكتب ما اعجب الناس فصفقوا له استحساناً وقالوا: فتى يغادر بلاد العروبة قليل الذخيرة ضعيف العلم، ثم هو يتحف الادب العربي باساليب جديدة ممتازة بتفكيرها واساليبها وقوة سلطانها على النفس. ان ذلك لشيء عجيب!

لقد ابدع جبران واجاد ونال اعجاب العالم العربي وهو في محيط غربي، وقبس ثقافة الغرب فاضافها الى ثقافة العرب، فجاء بالشيء المعجب والمطرب والمؤثر، وهز العواطف وتمرد على رجال الدين، فصار علماً من اعلام النهضة الحديثة في ادبه وتفكيره وتصويره».

وعندنا ان جبران تفوق بحكم مواهبه الشعرية الفطرية وبينها طاقته الفنية الاستيعابية، ولكن تفكيره ينقصه العمق الذي لأمين الريحاني ولرئيف خوري ولتوفيق الحكيم ولطه حسين ولاحمد امين مثلا ـ اولئك الذين تثقفوا ثقافة جامعية او مدرسية واسعة انضجت اذهانهم، وجعلت نظراتهم في امور الحياة ابعد مدى وأنفذ، كما جعلتهم اكثر جرأة على مواجهة مشاكلها ومكافحتها بدل الهروب منها.

واننا لنحمد للمؤلف الفصل المفيد الذي كتبه عن السيد محمد رشيد رضا الذي كان حوارياً للامام محمد عبده الذي يعده المستنيرون في العالم الاسلامي قرين الأئمة الاربعة، بل عدا انفذ بصراً بلب الاسلام الكريم وروحه، فجاءت فتاويه المنوعة التي نهج نهجها مريدوه دليلا على ايمانهم الصادق بصلاحية الاسلام لكل زمان ومكان.

كما نحمد للمؤلف كل ما كتبه توثيقاً لعرى الود والتعاون ما بين مصر ولبنان، وفيه الاستشهادات الجميلة من شعر حافظ ومطران اذ يقول:

نحن في حاجة الى كل ما ينمي قوانا ويربط الارحاما
فاجعلوا حفلة (الخليل) صفاء بين (مصر) واختها وسلاما!

ولا اقوى من اللغة والادب رابطة روحية بين الافراد وبين الشعوب.

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

رياح وشموع

لكمال نشأت ـ مجموعة شعرية ـ ٦٤ صفحة ـ القاهرة

الشعر العربي المعاصر في تطور سريع وهو يستهدف تلك المثل التي استهدفها الشعر العربي ولا ريب أن شعراءنا المحدثين قد اضافوا الى ثروتنا الشعرية ثروة جديدة من التجديد والانطلاق..

وفي هذه المجموعة الشعرية للاستاذ الشاعر كمال نشأت نرى مصداق ما نقول فهي تبدهك بتطور جديد حلو في الشعر الحديث تشرق بالأحساس الدافىء والطلاقة التعبيرية والصورة الكاملة الخطوط والظلال ثم تستعلق بعد ذلك بتناول الطبيعة تناولا يذكرنا بقصائد كبار شعراء الطبيعة الممتازين: يتوضح ذلك في قصائده «بحيرة البجع» و«حديث فراشة» و«نسمة الفجر» الخ...

وأهم الاسس التي تقوم عليها شاعرية الاستاذ كمال نشأت هي الصور الوضيئة الكاملة الخطوط والظلال كما قلت فهو في قصيدته بحيرة البجع يرسم لك لوحة كاملة ترى فيها التصوير البصري الملون بالخيال والمشاعر والانطلاق يقول «من قصيدة بحيرة البجع»:

كلما أقبل الظلام خجولا باسما عابقا بطهر الضياء
ازدهتها مفاتن البجع السابح يسري كالنغمة الهيفاء
والجناح النصوع في لونه الابيض فلك يسير في استبطاء
مرعشا حوله المياه فتنشق احتفاء بالبجعة الحسناء
والكون العميق يهمس عطراً في رحاب الطبيعة السمحاء
والغصون اللدان تلقي نسيجا من ظلال مقرورة سمراء
والعصافير حولها فرحات مصعدات او هابطات ازائي
شاربات من ضفة رقص العشب عليها في غبطة وهناء
وحفيف الأوراق همس حبيب مثل همس النجوم للشعراء
وادع يفتن الشعور وينسل خفوتا كالقبلة الخرساء

والصورة هنا ـ كما يراها القارىء ـ صورة كاملة تضافرت الالوان والظلال والعين الفنانة المستوعبة على اخراجها في هذه « اللقطات » التصويرية البديعة .

أما الطلاقة التعبيرية فهي خصيصة هذه المجموعة فشاعرنا ـ يقتنص اللفظة الموحية ـ كما يقول في مقدمة مجموعته ، وهو يضفي من أحاسيسه غلالة شفافة على هذه الالفاظ تؤدي ما يريده في دقة وضبط بلا اكراه .

ولقد اثارت هذه المجموعة اهتمام الاوساط الادبية في مصر وفي يقيني ان صاحبها حري بكل تقدير فانني بمتابعتي للحركة الادبية التأليفية وما تنشره المجلات العربية من ادب وشعر أقول إننا في نهضة مباركة واعود لاقرر انني لم اعجب الا بديوانين هما «من عمر ابو ريشة» للشاعر الفذ ابو ريشة و« رياح وشموع » للشاعر النابغ كمال نشأت على كثرة الدواوين الشعرية التي ظهرت في هذه الايام .

والنقد الذي يوجه هنا الى شاعرنا هو انقطاعه الى نفسه ـ وهو نقد موجه الى اكثرية شعراء العربية ـ فشاعرنا يهيم مع قلبه وروحه وخلجاته فلم نر في مجموعته الحياة المكافحة المرة ولا اغاريد الوطنية الدافقة ولعل عزوفه عن المجتمعات وانطواءه على نفسه « كما قال الاستاذ حسين البشبيشي المحامي في محاضرة له عن الديوان » هما السبب في خلو مجموعته من هذه الموضوعات .

القاهرة **زينب الشال**

ليسانسيه شرف في الأدب العربي
دبلوم معهد التربية العالي

من وحي طيبه

لعماد الدين التكريتي ـ ١٤٠ صفحة ـ مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق

الى روح أمينمحيت القائل :

اقس على جميع من هم دونك ، فان الناس لا يعنون الا بمن يرهبهم ! !

ولا تقترب منهم بمفردك .. ولا تملأ قلبك بالمودة لأخ .. ولا تتخذ صديقاً .

واذا نمت فاحرس لنفسك قلبك ، لان الانسان لا صديق له في أيام البؤس !

بهذه العبارات المتشائمة توج الاستاذ الصديق عماد الدين التكريتي كتابه «من وحي طيبه» واهداه الى روح امينمحيت التي تحوم حول المعابد والمقابر والآثار الباقية على الدهر منذ الاف السنين .

كان الكتاب مفاجأة لي ، لاني لم احس او أشعر به الا في الاسواق تتداوله الايدي دون ضوضاء ، وكانت مفاجأة ثانية ، لاني لم اجد بين دفتي الكتاب المذكور الصبغة العلمية المعروفة عن كتب من هذا النوع . ولقد قرأته وشعرت اثناء ذلك بلذة لم اشعر بمثلها في كتاب آخر من هذا الصنف ، ولعل الفضل وكل الفضل في هذا يعود الى طريقة المؤلف الذي طرق اسلوباً جديداً في مؤلفه ارغمني فيه على السفر معه في رحلته الى الاقصر حيث عرض علي آثار مصر الفرعونية بطريقة مدهشة لم تثر في نفسي الملل او تبعث فيها الكآبة ، انما اثارت الاعجاب الذي كان يتجلى ويتحلى بالابتسامة الدائمة التي لم تفارق شفتي والسرور الطاغي علي ، لان جو المرح ، والروح الفكهة المحببة الى كل نفس والتي خلعها الاستاذ تكريتي على كتابه باسلوبه الجديد الطريف فجعله مقبولا مرغوباً .

ان اول ما يسترعي الانتباه في الكتاب عنوانه فلو سماه الزميل الكريم «رحلة الى طيبة» لاصاب الهدف لاني لم اعثر على الوحي الذي اطلق على الكتاب ضمن صفحاته، اللهم الا اذا كان الكتاب نفسه هو من وحي رحلته الى طيبه ؟ !

هذا عن العنوان اما الكتاب فان ما يلفت النظر وتجدر الاشارة اليه تلك العبارت التي وردت في الصفحة ١٢ من تهجم غير لائق ، وذم غير مرغوب فيه لا علاقة له بالكتاب يتناول الاستاذ المحاسني الاديب الكبير والكاتب والشاعر المعروف . وسواء أساء الاستاذ المحاسني التصرف مع قوافل الطلاب والاساتذة الوافدة الى مصر ام احسنه فلا اعتقد او يعتقد غيري ان هذا سبب كاف لهذا التعرض البشع من قبل الزميل التكريتي، كما اني واثق تماماً ان كل من سيقرأ هذا الكتاب ويصل الى هذه الصفحة سيشمئز الماً لما عرف عن الدكتور المحاسني من طيبة متناهية ، واخلاق كريمة ، وخلق قويم ، واني هنا لست في معرض الدفاع عن الاستاذ المذكور لان اعماله شفيعة له ، واعتقد ان هذه الهفوة التي بدرت من التكريتي كانت ـ ولا شك ـ نتيجة خطأ وقع به للاهمال والارتباك الذين جدا اثناء رحلته الى القاهرة حيث كان الدكتور المحاسني مشغولا دون ريب بعدد من البعثات الوافدة

حين حطت القافلة التي من افرادها التكريتي رحالها في القاهرة.

هذا من جهة الاستاذ المحاسني ، اما من جهة الكتاب نفسه، فكان في تصويره الدقيق لواقع الشعب المصري في الزمن الغابر والايجاز في وصف ومعاملة العربي المصري في العصر الحاضر بلفتات عابرة ،موفقاً ، أتت غرضها المنشود من التوجيه الاخلاقي واستحقت التقدير .

والكتاب عدا هذا مزدان بصور رائعة مختلفة من مناظر طبيعية ، وغيرها للآثار العظيمة ، ومما يجلب الانتباه ان اكثر هذه الرسوم اختلس تصويرها اختلاساً في غفلة من الحراس والرقبا، لان تصوير الآثار ممنوع بامر من الحكومة، ولقد بذل الاستاذ تكريتي جهداً كبيراً حين هرب آلته التصويرية معه الى المعابد والهياكل والمقابر حيث استطاع ان يقدم لنا لقطات رائعة لآثار رائعة ، والكتاب في مجموعه كتاب يستحق صاحبه الشكر لما فيه من جهد مبذول لمسناه ، وعناية مركزة مشكورة، ولولا بعض الهنات من لغوية ومطبعية لكان الكتاب كاملا رغم ايجازه

دمشق **صميم الشريف**

قصة الانسان

للدكتور جورج حنا – ١٦٨ صفحة – قطع كبير
منشورات دار العلم للملايين – بيروت

لا جدال في ان علم التاريخ تطور منذ عهد هيرودوت وبلوتارك وابي الفداء وابن خلدون وطرأت عليه تحولات اساسية جوهرية تعود باسبابها الى ما طرأ على مفاهيم التفكير القديم من عناصر علمية وسعت آفاق البحث وحملت اليها التجربة والاستقراء والشمول فلم يعد التاريخ اليوم- بعد كونت وتيرس وماركس – مجرد سرد للاحداث السياسية والوقائع الحربية، ولم يعد كناية عن الاعمال التي يقوم بها الحكام والقواد والنبلاء . وكذلك فليس بوسع المؤرخ الحديث ان يسجل احداثه بمعزل عن الحياة العامة التي يحياها سواد الناس وفي منأى عن الصراع الفكري والمعيشي الذي يلم بالمجتمع في كل عصر ومصر ، بل لقد اصبح سجلا للتطور الاجتماعي ودرساً للتقدم الحضاري يهدفان اول ما يهدفان الى تعليل الاحداث التاريخية سيكولوجياً واجتماعياً واقتصادياً وتوجيه القراء توجيهاً علمياً رصيناً .

نقول ذلك بمناسبة صدور كتاب « قصة الانسان » للدكتور جورج حنا . وهو كتاب حاول فيه مؤلفه استكمال الشروط في فن التأريخ الحديث واستعراض تاريخ الانسانية منذ اقدم عصورها حتى اليوم متتبعاً الخطوات التي خطاها الانسان في سبيل التحرر من عبوديات المادة والفكر ناهداً نحو اوضاع اقرب الى التحرر والعدالة الاجتماعيين . وقد رأينا ان ننقل الى القراء شيئاً من هذا الكتاب القيم ليطلعوا على طريقة كاتبنا المؤرخ في التفكير والتعليل :

استهل فصلا عنوانه « التقدم العلمي » في حضارة القرن التاسع عشر فقال :

« اذا كان لا بد من اعطاء سمة خاصة لكل قرن في التاريخ يعرف بها ، فبوسعنا ان نطلق على القرن التاسع عشر اسم عصر العلوم. ففي غضون هذا القرن استطاع العقل البشري ان يكشف عن مكنونات الطبيعة وخفاياها ويفضح اسرارها كما استطاع اكثر من اي قرن آخر ان يخضع لمشيئة عواملها وتياراتها .

لم يقنع ابن القرن التاسع عشر بما اورثه اياه آباؤه من آلات بخارية لصناعته وتجارته واسفاره فانتزع من الطبيعة قوتها الكهربائية ليجعل من ليله نهاراً واخترع له معاصروه «فرنكلين» و« كالفن» و«فولت» و«داي» و«امبير» و«فراداي» مولداتها لكي يدير بواسطتها محركات معامله ويزيد انتاجه منها . وعندما عيل صبره من الانتظار الممل لمخابرة زملائه وعملائه في الاقطار البعيدة عنه ، قدم له صموئيل مورس جهازاً ينقل له مراسلاته على اسلاك ممدودة في الفضاء وتحت البحار ، ويوفر عليه وقتاً تستلزمه المخابرات البريدية وتمكنه من معرفة ما يجري في العالم يوماً فيوماً »...

ان اكتشاف التيار الكهربائي فتح باباً لعلماء القرن التاسع عشر للقيام بثورتهم على الوقت، فلم تمض خمس وعشرون سنة على اختراع التلغراف حتى تقدم« كراهام بل» بجهازه العجيب «التلفون» وفي غضون العشر سنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ظهر الى الوجود التلغراف اللاسلكي الذي يتنازع فضل اختراعه عالمان احدهما ماركوني الايطالي والثاني « بوبوف » الروسي . وبينما كان هؤلاء العلماء يخضعون الطبيعة لارادتهم كان زملاء لهم يعنون باكتشافات اخرى اكثر فائدة من الناحية الانسانية . لقد هالهؤلاء ما تقاسيه البشرية من آلام وامراض واوبئة فتجندوا لانقاذها منها ... »

جولة الأديب في شهر

نفسية المجرم

الاجرام صفة ملازمة للبشر*، ظهرت فيه منذ فجر التاريخ وهو ليس وليد الصدفة، بل خاضع في وجوده لقوانين خاصة، فتراه يتزايد ويتناقص في ظروف معينة، كما ان جرائم معينة ترتكبها فئة خاصة من الناس وبوسائل خاصة.

ان موضوع نفسية المجرم شيء علمي له نظريات مختلفة فالنظرية الحديثة في علاج الاجرام لا تنظر الى الجريمة ومدى جسامتها، بل انها تجعل هدفها الخطر الكامن في شخصية المجرم نفسه وضرورة وقاية المجتمع منه اذ ان الجريمة في ذاتها حدث قد انتهى وقضي الامر. وان اول دعاة هذا الرأي هو العالم الكبير لومبروزو، وهو واقعي يرى ان العقاب يجب ان يتحدد بالدراسة العلمية لشخصية المجرم والدوافع للاجرام، وذلك يكون على ضوء دراسة طبيعة الجرام وبيئته..

فالمجرم شخص به شذوذ جثماني في شكل الوجه والعينين والقامة والهيكل العظمي وحجم الجمجمة... وكثيراً ما يكون مولعا بالميسر وشرب الخمر محباً للانتقام.

فهو اما مجرم بطبيعته او ملتاث العقل او بالعادة او بالصدفة

اما النوع الاول فانه يولد مجرما، يشابه الانسان الاول في كثير من الوجوه من حيث تكوين العظام. وقد ثبت ذلك بمقارنة هيكله العظمي بالحفريات التي اكتشفت في انحاء العالم. وهذا النوع من المجرمين تبدو فيه هذه الصفة من الصغر..

واول ما يميز المجرم الطبيعي هو حجم الجمجمة اذ انها اصغر من الحجم العادي، وتكون جبهته منخفضة مائلة الى الخلف، ومحاجر عينيه متباعدة وغير متماثلة في اغلب الاحيان وذقنه بارزة الى امام. اما فكاه فكبيران بارزان نائتة عظام الخدين. وانفه منحرف غير معتدل واذناه متباعدتان تشبهان اذني النسلة وهو في مجموعه اميل الى القبح منه الى الجمال ذو يدين اطول من المعتاد يتميز بنظرات مريبة.

اما عن خلقه فهو عديم الاحساس عديم المبالاة قاسي القلب كسول لا يثير اهتمامه الا بشر ويعتبر ارتكاب الجرائم عملا عاديا لا يشعر بعد ارتكابها بشيء من الندم، وهكذا لا تجدي فيه العقوبة اكثر من ان تنبهه الى مواطن الضعف.

فيجب ابعاد امثال هذا المجرم عن المجتمع. اما المجرم المختل العقل فهو ينزع الى الاثم تحت تأثير اضطراب قواه العقلية وعدم تمييزه للفاضل او المرذول من الاعمال. وهذه الصفة تنطبق على جميع مرضى العقول سواء أكان هذا الخبل يرجع الى الوراثة او الخمور او الشلل او الصدمات العصبية.

وليس للمجرم المجنون شكل معين من حيث بناء الجسم اما من ناحية الخلق والعادات فهو مضطرب سريع التهيج كثير التقلب يضحك ويبكي لاتفه الاسباب ويتلذذ فيمن هم اضعف منه من الانسان او الحيوان. وهكذا نرى ان المارستان كفيل بعلاجه. وكثيراً ما ينتهي الى الانتحار فلا فائدة من عقابه ويكفيه ما يحيق به من ندم.

اما المجرم بالعادة فيشبه المجرم الطبيعي من حيث اساليبه لكنه يختلف عنه من ناحية قلة استعداده الفطري، فلولا اهمال تربيته وسوء ظروفه الاجتماعية لكان رجلا مستقيما ومواطنا صالحا. الا اننا نلاحظ فيه الكسل الا عن طلب المال، فهو الشيء الوحيد الذي يدفعه الى الجريمة دفعا. وان نفسه تكون مرتعاً خصبا للرذيلة وان امثاله يكونون العصابات منتهزين الفرصة المناسبة لاقتناص الفريسة، ومن انواعه المحتالون والقرادون [والبلطجية] الذين نجدهم في المراقص واندية الليل.

اما المجرم بالمصادفة فضعيف الاحساس لا يقوى على مقاومة المؤثرات الخارجية ولا على تقدير نتيجة افعاله كما ان الفاقة وامل الافلات من العقاب والرغبة في التقليد كثيراً ما تكون دافعاً له على ارتكاب الجريمة.

« صوت الامة » المصرية — **المحامي ثروت حنفي**

* راجع مجلة الأديب في عدد سبتمبر ١٩٥١ « بواعث الاجرام » للدكتور عدنان الخطيب وفي عدد ديسمبر ١٩٥١ « الباعث في ضوء المسؤولية الجنائية للمحامي اكرم البياتي.

١ – شاب « يصفع » جبله !

لو كنت اقول بالثأر، لكان لي على هذا الشاب ثأر لا تمحوه حتى طريقة الجاهلية في الاخذ بالثار، ولو كنت اقول بالانتقام، لرصدت هذا الشاب كل طريق حتى

انتقم منه لنفسي ولجيلي كله .

ولكن ما لي ولثأر الجاهلية ، وانتقام الجاهلية ، فانما هو « فرد » في جيل ، وقد ضل هذا الفتى سبيله ، لان في حياة جيله ونظام مجتمعه ما يغري بضلالة،او ما يزج بابنائه في غياهب الضلالة دون ما ارادة او اختيار .

لقد « صفع » هذا الفتى جيله حقاً ، لا مجازا ولا رمزاً .. صفع جيله كله في موقف ذليل خانع مـا ينبغي ان يقفه فتى في شان هذا الفتى ، ولست اكذبك انني احسست لصفعته اذى كان اثره في نفسي كاثر الزلزال في البركان .

رأيته يخطب في حفلة،وكانت الحفلة معقودة لذكرى شاعر كان اكبر مزاياه انه ابقى لهذا الجيل ارثاً ضخماً من ادب الاباء والكبرياء على الطواغيت ، ومن ادب الثورة بالذل والتحرر من الخنوع .

ورأيت قبله كاهناً شيخاً ليس من معدن هذا الجيل،ولكنه وقف على المنبر وقفة البطل الشجاع يشيد بثورة الشاعر الراحل وتمرده وانعتاقه وكبريائه .

ورايت بعده خطباء من معدن هذا الكاهن الشيخ،يذكرون الشاعر ، فلا يذكرون الا ثورته وتمرده وانعتاقه وكبرياءه .

ولكني رأيت فتانا يتقدم الى المنبر خفيفاً نشيطاً ، بادي الاناقة ، مدلا بثقافة ومعرفة وادب ، فحسبت انه سيلهب المنبر ثورة وتمرداً وانعتاقا وكبرياء ، فـاذا هو يتلو قصيدة ، واذا القصيدة تنشر عبق « البخور » في ارجاء الحفل زلفى لرئيس الحفل ، لا لذكرى الشاعر الراحل ، ثم اذا بالقصيـدة تتمسح قليلا قليلا باذيال الوزير الذي يرعى الحفل ، وتتمرغ على اقدامه ثم اذا بالفتى النشيط ، الانيق المثقف ، الاديب ، يهبط من على المنبر ليجري في ذلة صارخة،ضارعة ، حتى يصل مجلس الوزير، فيهوي على يده الكريمة يريد ان يقبلهـا ـ يا للعار ـ فيأبى الوزير ذلك وينكره ـ يا للعار ايضا ـ !

هكذا « صفع » الفتى جيله باسره ، وما زلت كلما ذكرت هذه « الصفعة » ثارت بي نخوة جاهلية هي من « رواسب » الماضي السحيق ، فاكاد اثب وثبا ابحث عن الفتى في كل مكان لانال منه الثأر ، وانتقم لكبرياء الجيل كله ...

٢ ـ رابطة الكتاب السوريين

كانت مسألة الادب في سوريا ، الى يوم قريب ، لغـزاً عجيبا من الالغاز ، فقد كان كل شيء في هـذا البلد العربي ، منذ اكثر من ربع قرن ، ينتفض ويتوثب،ويثور ويتمرد ، ويجاهد ويكافح ، الا الادب .

فالادب وحده في سوريا ظل طوال هذا العهد ، « قانعاً » بالتفاهة والسذاجة والبلاهة ، ظل يلهو كالاطفال بهذه الدمى العتيقة من الالفاظ والافكار والاساليب الموروثة المحطمة المشوهة

لقد كان هذا لغزاً عجيباً حقاً ، فعهدنا بالادب انه دفقة الدم في شرايين الحياة ، فكيف صح ان تكون سوريا قوية دافقة ثائرة ، ويكون الادب السوري ـ مع ذلك ـ في « صقيع » الموت؟.

وكان عجباً ـ فوق ذلك ـ ان يخرج من هذا « الصقيع » مثل « بدوي الجبل » وعمر ابو ريشة ، فهـل للجبل العلوي وهل لحلب الشهباء ، يد في ذاك ؟

وبقينا على التلفت الى دمشق دهراً نسائلهـا : اين ادبك ينتفض مع الحياة ويتوثب ، ويثور ويتمرد ، ويجاهد ويكافح ، حتى كانت « عصبة الساخرين » منذ ثلاثة اعوام ، فقلنا : هذا ادب جديد يريد ان يتدفق ، ولكنه حائر : اي مجاري الحياة يسلك .. وراح هـذا الادب يتدفق على الحيرة والضلالة وهو « يسخر » من نفسه ويضحك من حيرته .

ولكن « عصبة الساخرين » كانت بداية الحيـاة في ادب الشام دون ريب، وهكذا الحيرة ابداً ، فهي خفقة الحياة الاولى، ثم ينبثق الينبوع .

وهذه « رابطة الكتاب السوريين » هي الينبوع المنتظر .. هؤلاء ادباء الرابطة الجديدة يتدفقون الى المجرى الاعظم على هدى وبصيرة ونور ... هؤلاء هم يتقدمون الى الحياة قائلين بصوت واحد .

« في نهضات الشعوب تجند الامة كل شيء كي تدفع به الى الميدان ، الا نحن لم نقف ـ بعـد ـ في الصف ، ولم نتهيأ ، فلنشرع اقلامنا ، ولنخضها معركة شريفة نبيلة،انها معركة تهمنا كما تهم كل انسان طيب،لانها معركة حريتنا وسلامنا وسعادتنا»

فالى « رابطة الكتاب السوريين » ، تحيتنا ... وانما هي تحية المسافر المستوحش الى مطلع الفجر الصادق .

٣ ـ فؤاد سليمان

الف معنى والف خاطرة تتلاقى كلها الآن فجاة،في ذهني وفي نفسي معاً ، حتى اكاد اغص بالمعاني واشرق بالخواطر ، قبل ان اقول كلمة واحدة في هذا الاديب الصريع ، الذي ثوى امس في مرقد من الارض ... الارض التي كان، الى ايام قريبة ، يذيب حبها في نفسه ، ثم يذيعه في النفوس حروفاً من العطر والنور والندى والنغم .

الف معنى والف خاطرة ترتعش كلها الآن ، في ذهني وفي نفسي ، ارتعاشاً من الالم ان يموت الورد في جلوة ربيعه ، وان يختنق العطر في موعد بوحه ، وان تتمزق حنجرة البلبل في موسم الصداح والاغاريد .

مات فؤاد سليمان وهو كالكرمة التي تحلم بالعنقود سنوات ، وينتقل سر العنقود في جذورها وعروقها يوماً فيوماً، في الفصول والشهور، حتى يكاد يصبح الحلم حقيقة؛ وحتى يكاد يتكون السر ويستجمع كل معانيه، وحتى ينعقد الزهر ويتكور العنقود ويقبل «تموز» باسراره واحماله ، فاذا بالمنجل الاثم يهوي على الكرمة من جذورها ، واذا بالعنقود يموت مع الكرمة والحلم والسر جميعاً ، واأسفاه .

ما التقيت «فؤاد» الا مرة واحدة، ولكن كنت التقي «تموز» كل صباح ، وما جئته في صباح قط الا على شوق ولهفة وظمأ ، وما صدرت عنه في صباح قط الا وفي نكهة تموز، وفي خاطري حلاوة من حلاوة الارض التي تنضج في تموز ، وفي نفسي سماحة من سماحة الصيف الذي يتدفق سخاء في تموز .

و«تموز» هذا ، وهو «فؤاد» نفسه ، كان يعطي من ذاته، كل صباح ، فيضاً من الادب يبدو للعين رشحة . كما نعرف من شان تموز ابن الطبيعة ، الذي يعطيك الرشحة من الخير والنضج والسماحة ، فاذا هي فيض ودفق وغزارة .

كنت اجدني مع «فؤاد» ، في زاوية «تموز» على غير وفاق في الراي اغلب الاحيان، ولكن مع ذلك - كانت نفسي تتفتح له وتنتعش به ، وتستجم وتستريح ، وما كان ذاك الا لان «فؤاد» كان ابن الطبيعة كشهر تموز نفسه ، في حرفه لون الارض ، ورائحة الارض ، وسحر الارض .

من هنا احببت هذا الاديب ، لانه كان يعرف انه ابن الارض وان للارض عليه حقاً، ولها في ضميره امانة وذمة، وكنت اشعر ملء الشعور انه كان يؤمن بهذا الحق ، ويقدس هذه الامانة .

ومن هنا كذلك حزنت على فؤاد اوجع الحزن ، اذ قضي عليه الداء قبل ان يلقي كل اثماره ، وينشر كل اسراره .

٤ - مع شعراء الزجل

جمعتنا البارحة، في نادي «جمعية امارة الزجل» ، حفلة عائلية متواضعة انستنا فيها الى نخبة كريمة من عائلة الزجل اللبناني .

وانا لست زجالا ، فلست - اذن - من هذه العائلة الكريمة، ولكن لي بها صلة حبيبة الى قلبي. ولهذه الصلة تاريخ هو من تاريخ نفسي وشعوري ، بل لهذه الصلة حقيقة واقعة من حقائق الحياة تتصل بكل نفس ، وكل شعور ، وكل فكر .

لقد عشت من عمري زمناً طويلا في غير هذه الارض، ارض لبنان ، واشهد ما انقطعت يوماً عن الحنين الى هذه الارض قط، وكان شأني مع هذا الحنين اني كنت استحضر لذهني وشعوري ما استطيع ان استحضر من صور الحياة في لبنان ، ومن الوان العيش فيه ، ومن معاني ايامه ولياليه ومجالي فصوله ومواسمه ، وما كان شيء يسعدني على ذلك ، كما كان يسعدني هذا الشعر الشعبي الذي يدعونه « الزجل » في لبنان .

لقد كنت اقرأ ادب اللبنانيين : شعراء، وكتاباً، فلا اجد فيه ما اطلب من حياة لبنان ، حياة هذا الشعب في لبنان ، حياة هذا الفلاح يغذو ارضه ، صباح مساء ، من عرق جبينه وعصب يمينه وقوة صبره، وينبوع امله، وطموح قلبه، وخصب معوله ورفشه.

لم اكن اجد في شعر الشعراء وكتابة الكتاب في لبنان، ما كنت اطلب من صور هذا العيش الذي يعيشه ابن هذه الارض في لبنان، حتى اذا وقعت على قطعة من الزجل اللبناني ، فكأني رجعت الى وطني الاول هذا، اعيش مع اهله، واتنقل في سهله وجبله، واري شفقه وغسقه، وصيفه وشتاءه وربيعه وخريفه، واتقلب بين فلاحه وعامله ، وبين شقيه وسعيده ، وبين «الخدم» من بنيه و«السادة النجب» من ذوي زعامته وحاكميه ...

من هنا احببت الزجل اللبناني ، واحببت كل شعر شعبي ، ومن هنا قامت ثورة في نفسي وثورة في فكري ما زالتا تصليان « الادباء اللبنانيين » المتفصحين ناراً حامية لاهبة .

انا لا اعتقد ان للفصحى يداً في تخلف الادباء « اللبنانيين » عن الاتصال بحياة الشعب ، ولكن اعتقد ان هؤلاء الادباء انفسهم ما يزالون يترفعون عن الاتصال بالحياة ، وبالارض ، وبناس الحياة والارض .

ولن يكون ادب الفصحى ، ادب الحياة والارض والناس ، الا يوم يذكر ادباء الفصحى ، انهم بشر من طينة البشر ، وان زمن الآلهة والنبوات قد مضى وانقضى !

حسين مروة

من قصر شايو

في باريس الف لون ولون من مجالات الدراسة : دراسة الكون بمثله العليا ، وبواقعه . وفي قصر شايو بالذات بحر زاخر بشتى الاشكال : منها ما هو الزبد الذي يذهب جفاء، ومنها ما هو الذي ينفع الناس فيمكث في الارض .

ولعل من جميل المصادفة ان يكون مقر الامم المتحدة صورة

مصغرة لباريس : ففي قصر شايو تجد الزنجي الاسود الى جانب السكندنافي الاشقر والمصري الاسمر والهندي الاغبر والصيني الاصفر .. وكذلك ترى في العاصمة الفرنسية ، حيث تختلط الاجناس والالوان والعناصر ، فاذ بك تشاهد مطعماً تركياً في جوار مطعم اميركي وثالث روسي ورابع سوري وخامس ياباني !.

ولهذا ، فان باريس ليست عاصمة فرنسا فحسب ، وانما هي عاصمة العالم الذي تمثلت جميع أممه فيها . ومن الحفة ان يمر الكاتب بهذا العالم المصغر مر العابرين ، فلا يوليه من نفسه وعقله نظرة مشبعة تكشف له عما في هذا الكون من اضداد ومناقضات وعما يتربص له من مصير .

اول ما يجب ان تزوره في باريس هو « السان جرمان دي بري » مقر « الوجوديين » ، اولئك الاشقياء الذين ضاقت بهم سبل العيش وفقدوا لذة الامل ، فاذا بهم يتعلقون بأذيال « جان بول سارتر » فيلسوف فرنسا المعاصر ، بعد ان قرأوا عناوين نظريته الفلسفية الوجودية .. انهم مجموعة غريبة حقاً من اليائسين والمشردين والبائسين ارادوا ان يستنبطوا لانفسهم نمطاً بدعاً من العيش ، فاسموا انفسهم « وجوديين » واخذوا يبشرون بمذهبهم الذي يقول ان الانسان حر في ما يفعل ، فما عليه اذن الا ان يطلق لحيته وسالفيه وشعر رأسه اذا كان رجلاً ، وان يلبس « البنطلون » ويتسكع في قذارة ، اذا كان امرأة ..

دخلت احد المقاهي الوجودية ، فجاءتني فتاة صغيرة جميلة تحمل في يدها مجموعة من كتيب صغير ، ثم جلست الى جانبي دونما استئذان او تحية ، وقدمت لي نسخة من ذلك الكتيب طالبة ان اشتريه بمائة وخمسين فرنكا .. فتناولت الكتيب لاتصفحه ، واذا هو مجموعة شعرية « وجودية » كما يزعم الناظم .. وهذا نموذج صغير من ذلك الشعر المزعوم .

« انا اعيش هكذا لانني هكذا .. وانت تعيش هكذا لانك هكذا . وهو يعيش هكذا لانه هكذا .. هكذا هكذا هكذا هكذا هكذا .. » !!

وما ان قرأت هذه « الابيات » حتى رددت الكتيب الى الفتاة ، وافهمتها انني سادفع لها ثمنه ولا آخذه ، ولكني اريد ان افهم لماذا تحب هذا الشعر .. فاجابت دون ان يبدو عليها التأثر :

ـ انا لم اقرأ هذا الشعر ، ولكني اريد ان ابيع الكتاب لكي آكل خبزاً هذا المساء ..

وسألتها عن اهلها وحالها ، فاجابت انها وحيدة في هذه الدنيا ، بعد ان هجرها حبيبها ..

وهنا كفيت نفسي مؤونة السؤال فنقدت الفتاة ثمن الكتاب وصرفتها ، ثم نقلت بصري الى شاب دخل المقهى واخذ يرسم بعض الحضور ويزعط وينقر بعنف على لوحة في يده .. وقد عرفت انه « وجودي » من نوع « زازو » لانه كان ذا لحية طويلة ولباس غريب .. و « الزازو » هو الوجودي « القبضاي » الذي يغالي في وجوديته !

والى جوار « السان جرمان » يقوم الحي اللاتيني ، حي الطلبة والمعاهد الذي تتوسطه جامعة « السوربون » ، اعظم جامعة في العالم : حيث يلتقي طلبة الدراسات العالية في مختلف اقطار المعمور . ومن جعل من « برج بابل » مضرب المثل على اجتماع الاجناس واللغات المتعددة لم يزر الحي اللاتيني طبعاً !

اما في قصر شايو ، فان ممثلي دول العالم قد جاءوا ليبحثوا في الطرق التي تحد من آلام البائسين والبؤساء المشردين وتؤدي الى توطيد السلام الدائم وتوحيد امم الارض .

في ذلك القصر الفخم الجميل ارتفعت امامه اعلام الدول جميعها ـ الا اقلها ـ تبارى خطباء المعسكرين الشرقي والغربي في الدعوة الى منع الحروب ، وصوتوا بالاجماع على تأليف لجنة لدرس مشروع خفض التسلح ! ..

هذا ما فعله اولئك الرجال الكبار وان كانت دولهم ما تزال جادة في زيادة تسلحها وفي الاستعداد لحرب طاحنة قد لا تبقي ولا تذر ..

ولقد شهدت بعيني الرفيق فيشنسكي والمستر اتشيسون يتبادلان الابتسامات ويتصافحان تصافح الصديقين .. فقلت في نفسي انهما « ممثلا » دولتيهما وعليهما ان يتقنا فن التمثيل في شتى « ادواره » . ولا سيما في قصر شايو الذي اعد في الاصل ليكون مقراً لمسرح كبير تمثل عليه الروايات المسرحية الكبرى ! .

سطر واحد قرأته على وجوه قصر شايو ووجوه « السان جرمان » : الصراع في سبيل حياة افضل . ولئن لم يكن ذلك بجديد ، فانه اليوم اقوى واوضح وابرز .

ان امم الدنيا تستغرق اليوم في قلق ورعب وحيرة وتحفز : بعضها تريد ان تعمم نظاما ، وبعضها تدافع عن بقائها وتعمل في سبيل امجاد او اطماع ، وبعضها الآخر تتلمس سبل مصائرها ناشدة التحرر او الرفعة ، او الكفاف .

ومؤسسة « الامم المتحدة » لن تفعل شيئاً سوى التخدير ، وهي تدرك ذلك .. فهي ليست سوى منبر تتوالى عليه خطب متناقضة الاهداف والغايات والاساليب وما ذلك بعجيب ، ما دام لكل دولة رأيها وقضيتها ومطالبها . اما متى يصبح العالم كله ذا هدف واحد ، فعندما تضمحل القوميات وتذوب ، فتمسي الاسطورة حقيقة والحقيقة اسطورة !

« الأحد » البيروتية — رياض طه



١٩ نوفمبر ١٩٥١ - وقعت حوادث دامية في مدينتي الاسماعيلية وبور سعيد بين القوات الانجليزية والمصريين ذهب ضحيتها عدة قتلى وجرحى من الجانبين .

٢١ - سلم الرفيق غروميكو ممثلي دول الشرق الاوسط وممثل الولايات المتحدة في الاتحاد السوفياتي مذكرة احتجاج على مشروع الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط .

٢٢ - اجتمع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية بالدكتور مصدق رئيس الوزارة الايرانية وضيف مصر واصدرا بيانا مشتركا يؤكد علاقات الصداقة والود بين بلديهما .

- اجتمع في باريس وزراء خارجية امريكا وبريطانيا وفرنسا بالدكتور ايدناور مستشار حكومة المانيا الغربية . وصدر بيان جاء فيه ان المؤتمر كان خطوة هامة نحو مساواة الجمهورية الالمانية الغربية مع الدول الغربية .

٢٣ - اتفق الوفدان المتحاربان في كوريا مبدئيا على قضية وقف القتال ويكف الضباط على رسم خط القتال لتحديد المنطقة المجردة .

٢٤ - عقد مجلس حلف الاطلسي جلسته الاولى في روما برئاسة المستر بيرسن رئيس وزراء كندا وحضور وزراء خارجية دول الحلف ووزراء الدفاع والمالية .

٢٥ - ما تزال الازمة الوزارية في سوريا مستعصية وقد فشل في تأليف الوزارة جميع الذين عهد اليهم بها .

٢٨ - الف الشيخ معروف الدواليبي الوزارة السورية محتفظا لنفسه بالرئاسة ووزارة الدفاع .

- صرح المسيو روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية بان فكرة انشاء الجيش الاوروبي قد خمدت نظراً لعدم تمكن الدول الاوروبية الغربية من الاتفاق على القضية السياسية للوحدة الاوروبية .

٢٩ - قام الجيش السوري بقيادة العقيد اديب الشيشكلي رئيس الاركان بانقلاب رابع فأوقف بعض اعضاء الوزارة ورئيسها وبعض اعضاء المجلس النيابي وتسلم زمام الامن في البلاد

٣٠ - وقع انقلاب في سيام قلبت فيه الحكومة وحلت محلها لجنة تنفيذية عسكرية وقد اذاعت اللجنة انها مناهضة للشيوعية .

اول ديسمبر ١٩٥١ - وافقت اللجنة السياسية للامم المتحدة بالاجماع على مشروع القرار الباكستاني السوري العراقي وهو يقضي بان تعقد الدول الاربع الكبرى مؤتمراً للتباحث في نزع السلاح وتحريم استخدام القنبلة الذرية وسيفتتح هذا المؤتمر غداً في باريس .

٢ - ترك رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الاتاسي الرئاسة ، وكان اذيع بان الدكتور الشيخ معروف الدواليبي رئيس الوزارة المعتقل قد استقال ، وبذلك تولى الجيش اعمال السلطة التنفيذية فاصدر العقيد اديب الشيشكلي مرسوما بحل المجلس النيابي .

٣ - سلم المجلس العسكري الاعلى في سوريا الزعيم فوزي سلو السلطتين التنفيذية والتشريعية واختصاصات مجلس الوزراء فاصبح رئيسا للدولة رئيسا للوزارة يعاونه الامناء العامون للوزارات .

- وصل المستشار اديناور رئيس حكومة المانيا الغربية في زيارة رسمية .

٤ - اعلنت الحكومة المصرية حالة الطوارىء بعد المعارك الدامية التي وقعت امس بالسويس بين القوات الانجليزية وبين رجال الشرطة والأهلين والتي اسفرت عن سقوط مائة ضحية من الفريقين .

٦ - صرح رئيس الجمعية العمومية للامم المتحدة الذي يرأس لجنة تخفيض السلاح للدول الاربعة الكبرى التي توالي اجتماعاتها السرية بانه برزت خلافات بين الفريقين الشرقي والغربي وانه من الصعب التوفيق بين وجهتي النظر .

٨ - اعلن الرئيس ترومان تعيين المستر ماك‌جي وكيل الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الادنى سفيراً في تركيا .

١٠ - اعلن السيد حسين فاطمي نائب رئيس الوزارة الايرانية ان الحكومة الايرانية وافقت على ان يشرف المصرف الدولي على انتاج البترول الايراني . وصرح ناطق بلسان الحكومة البريطانية ان بريطانيا توافق على هذا الاشراف .

- فرغت اللجنة الرباعية الفرعية لنزع التسلح من وضع تقريرها حول خفض السلاح في الاجتماع السري الأخير الذي عقدته . وسيرفع تقريرها الى اللجنة السياسية لهيئة الأمم

١١ - ارسلت حكومة الولايات المتحدة الى الجنرال ردجواي تعليمات بوجوب التساهل في مفاوضات الهدنة في كوريا لتخرج المحادثات من المأزق الذي تتخبط فيه .

- جرت معركة حامية بالمجلس النيابي الايراني بين الموالين والمعارضين اشترك فيها ٥٠٠ شخص وتشابك النواب بالايدي ووقع ٣٥ جريحا

١٣ - استدعت الحكومة المصرية سفيرها من لندن احتجاجا على تصرفات القيادة البريطانية في قناة السويس .

١٤ - اقرت الجمعية العمومية لهيئة الأمم مناقشة شكوى الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة الاميركية الخاصة بالمشروع المسمى « الأمن المتبادل » الاميركي .

١٥ - يسود الهدوء جميع الجهات الكورية بينما تتقدم محادثات الهدنة تقدما محسوسا .

١٧ - ايد الشعب في الاورغواي الاستفتاء لتعديل الدستور القاضي بالغاء رئاسة الجمهورية واسناد مهامها لهيأة من تسعة اعضاء .

- وصل المستر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية والمستر ايدن وزير خارجيتها الى باريس لعقد مؤتمر مع زميليها الفرنسيين المسيو بليفن وروبير شومان .

١٨ - اجتمع في السفارة البريطانية في باريس المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية ومحمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية المصرية بدعوة من المستر ايدن .

- على اثر انتهاء الاجتماع البريطاني الفرنسي صدر بلاغ اكد تضامن حكومتي البلدين وجاء فيه ان المجتمعين اعلنوا ان بعث الجيش الالماني الوطني يعد ضربة قاضية لأماني اوروبا .

٢٠ - قررت اللجنة السياسية الخاصة للامم المتحدة انشاء لجنة دولية نزيهة تحقق فيما اذا كانت الحالة الراهنة تسمح باجراء انتخابات حرة في المانيا .

٢٢ - انتخبت الجمعية العمومية لهيئة الامم اليونان لعضوية مجلس الأمن لتحل محل يوغوسلافيا

٢٤ - احتفل باستقلال مملكة ليبيا المتحدة وأعلن السيد ادريس السنوسي ملكا عليها تحت اسم ادريس الأول .

دار الطباعة والنشر اللبنانية - بيروت
تليفون 98 - 35